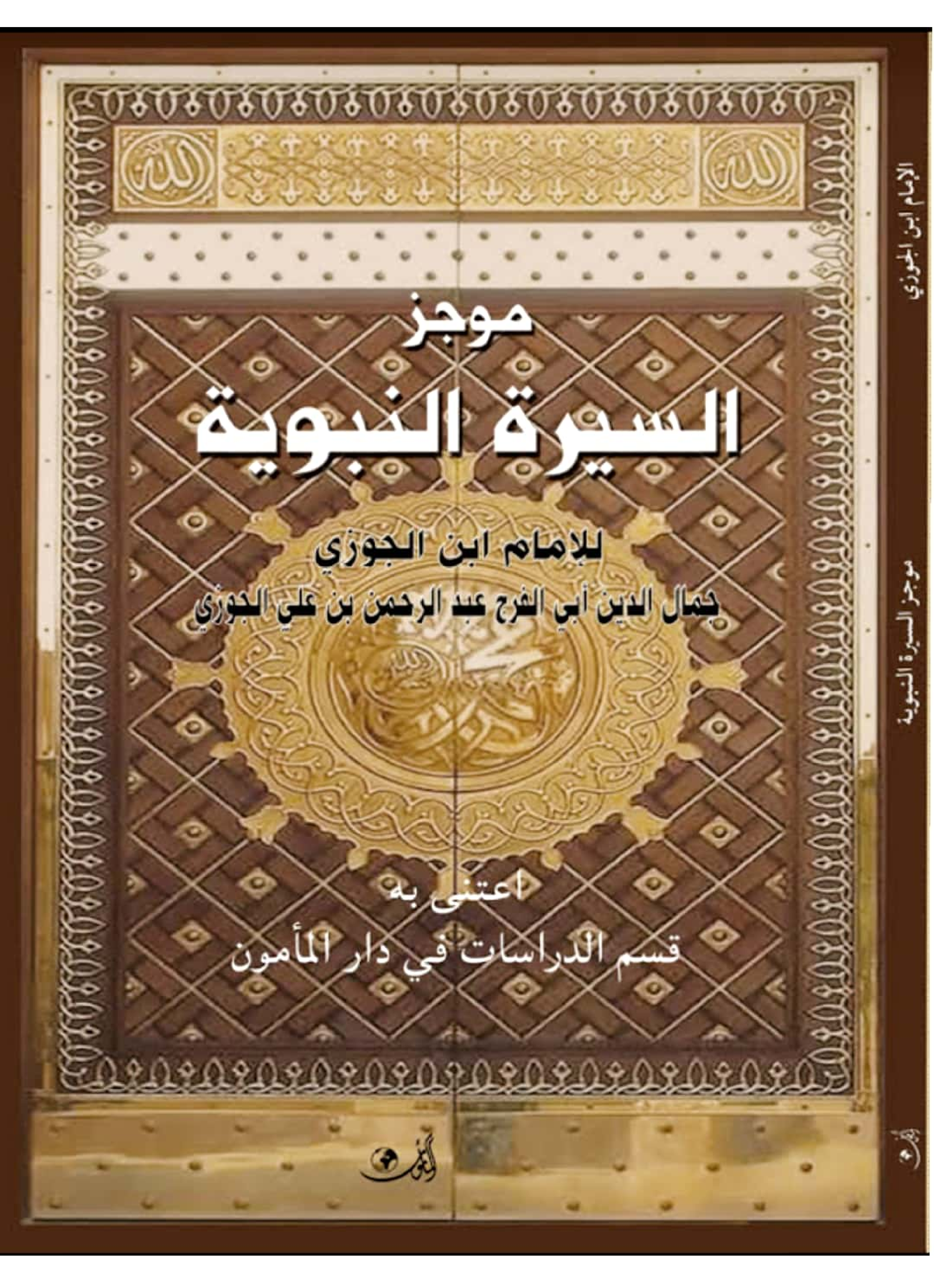


موجز
السيرة النبوية
للإمام ابن الجوزي
جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي
اعتنى به
قسم الدراسات في دار المأمون
الإمام ابن الجوزي
موجز السيرة النبوية

الفهرس

المقدمة

ابن الجوزي عالم خبير كانت له مع القلم صحبة، وله بالتأليف دراية وخبرة، وقد تجلت هذه الصفات في كتاب صفة الصفوة، وأول ما يطعالنا فيه سيرة النبيﷺ، هذه السيرة التي لم يترك جانبا من جوانبها إلا ذكره، فمن أراد سيرة موجزة وافية فعليه بقراءة ما كتبه ابن الجوزي.

فقد ذكر نسبةﷺ ووالده ووالدته وحمله وولادته ووفاة أبيه ثم أمه، وكفالة جده له ثم كفالة أبي طالب له، وما كان من أمره مع بحيرا الراهب، ورعيه الغنم، وخروجه إلى الشام في تجارة خديجة رضي الله عنها، وزواجه منها، ثم علامات النبوة قبل أن يوحي إليه، ثم نزول الوحي وأحوال الوحي ورمي الشياطين بالشهب، واعتراف أهل الكتاب بنبوته وبدء الدعوة ثم معراجه ثم عرضه نفسه على الناس لينصروه، ثم

ما كان من بيعة الأنصار ثم الهجرة إلى المدينة المنورة، وما كان في الطريق من أحوال، وحديث أم معبد، وما جرى له عند قدومه المدينة، وذكر ابن الجوزي من لهم صلة بالنبي ﷺ من أعمام وعمات وأزواج وسراري وأولاد وموالي ذكورا وإناثا، وذكر مراكبه ثم صفته الخَلقية والخُلقية من تواضع وحياء وشفقة ومداراة وحلم وصفح، ومزاح ومداعبة وكرم وجود. وبين فضله على الأنبياء ومثله ومثل الأنبياء وحماية الملائكة له وتعظيم الصحابة له وحبهم إياه. وبين عبادته واجتهاده وتحدث عن فصاحته وأورد أمثلة من كلامه التي صارت أمثالاً تجري على الألسنة. وعقب على هذه الأمثلة بقوله ((قلت ولو ذهبنا نذكر من كلام رسول الله ﷺ العجيب الوجيز البليغ لطال، إذ كل كلامه يتضمن حكما. وكذلك لو ذهبنا نستقصي آدابه وأخلاقه وأحواله لجاءت مجلدات، وإنما

اقتطفنا من كل فن قطفا وأشرنا إلى جملة برمز لان مثل كتابنـا هذا لا يتسع للبسط)).

وقد ذكر بعد ذلك وفاة النبيﷺ ومـا كـان مـن أحـوال المسلمين بعدها، وندب فاطمة عليها السلام لـه ومبلـغ سـنه وغسله عليه الصلاة والسلام وموضع قـبره، ثـم ختـم بـذكر الصلاة والسلام عليـه وبلـوغ سـلام أمتـه لـه عليـه الصـلاة والسلام.

لقد أحسن ابن الجوزي تلخيص السيرة النبوية تلخيصا يقدم معالمها جميعا للقـارئ مـن غـير أن يفوتـه معلـم منهـا، ويستطيع من خلال قراءة هذا التلخيص أن يلم بما ينبغـي أن يعرفه مـن السـيرة النبويـة الشـريفة. وهـو لم يسـتطرد بـذكر التفاصيل بل قدم المعلومة وقدم القـدوة والأسـوة الـتي هـي الهدف الأول من كتابه. ويلفت النظر أن أكثـر مـا أورده مـن الأخبار النبوية ورد في الصحيحين يتجلى ذلك في بيـان ابـن

الجوزي مصادره، مما يجعلك تطمئن إلى ما يورده من أخبار السيرة النبوية الشريفة.

وكان لابن الجوزي تدخلات مباشرة في مواضع رأى أنها تحتاج إلى بيان، ومنها تعقيبه على معلومة وردت في حديث لحليمة السعدية،:

((قال الشيخ وظاهر هذا الحديث يدل أن آمنة حملت غير رسول الله ﷺ وقد قال الواقدي: لا يعرف عند أهل العلم أن آمنة وعبد الله ولدا غير رسول الله ﷺ)).

وقال في ذكر علامات النبوة قبل أن يوحى إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام:

((قال الشيخ: قد ذكرنا أن أمه آمنة رأت عند ولادته نورا أضاء له المشرق والمغرب، وقد روي عنه ﷺ أنه قال: رأت أمي نورا أضاءن له قصور الشام، وقد ذكرنا شق بطنه

في صغره، وحديث ميسرة والراهب، وحديث بحيرا والغمامة التي كانت تظله، والأحاديث في هذا كثيرة إلا أنا نروم الاختصار فلهذا نحذف)).

وقد وجدنا لدى عدد كبير من الناس رغبة في سيرة موجزة فوجدنا أن خير ما نقدمه للناس ما كتبه ابن الجوزي رحمه الله في "صفة الصفوة". وقد اختصرنا مما ورد في هذه السيرة بعض الأمور التي رأينا أنها ليست ضرورية ويمكن أن يستغنى عنها في مثل هذا المختصر وهي أمور قليلة محفوظة في أصل الكتاب الذي أخذنا عنه.

وكتاب صفة الصفوة مطبوع أكثر من طبعة في بعض منها فوارق طفيفة وفي بعضها تخريج للأحاديث، وشرح للكلمات الصعبة، وقد استغنينا عن ذلك لتخريج ابن الجوزي ما أورده من أحاديث، وفسر كثيرا من الكلمات الصعبة، وكذلك رغبة في الاختصار غير المخل.

نسأل الله تعالى أن يجزي ابن الجوزي خير الجزاء، وأن يكتب لنا أجر إفراد هذه السيرة في كتاب، ونسأله تعالى أن يكتب له الانتشار بين الناس ليطلعوا على سيرة نبينا محمد عليه وآله الصلاة والسلام، والحمد لله أولا وآخرا.

د. مأمون فريز جرار

باب ذكر نبينا محمد (ﷺ) وذكر نسبه

عن عمر بن حفص السَّدوسي قال: هو محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ بن كلاب ابن مُرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار وأم رسول الله (ﷺ)، آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زُهرة ابن كلاب بن مُرّة.

قلت: وأما نزار فهو ابن معدّ بن أدّ بن أُدَد بن الهميسع ابن حمل بن النبت بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام.

ذكر طهاره آبائه وشرفهم

عن واثلة بن الأسقع أن النبي (ﷺ) قال: ((إن الله عز

وجل اصطفى من ولد إبراهيم: إسماعيل، واصطفى من بني إسماعيل: كنانة واصطفى من بني كنانة: قريشاً، واصطفى من قريش: بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم)).

ذكر تزويج عبد الله بن عبد المطلب آمنة بنت وهب

كان عبد المطلب قد خطب آمنة لابنه عبد الله، فزوجها إياه فبقي معها مدة.

ذكر حمل آمنة برسول الله (ﷺ)

روى يزيد بن عبد الله بن وهب بن زمعة عن عمته قالت: كنا نسمع أن آمنة لما حملت برسول الله كانت تقول: ما شعرت أني حملت ولا وجدت له ثقلاً كما تجد النساء إلا أني أنكرت رفع حيضي، وأتاني آتٍ وأنا بين النوم واليقظة فقال: هل شعرت أنك حملت؟ فكأني أقول: ما أدري. فقال: إنك قد حملت بسيد هذه الأمة ونبيها، وذلك يوم الاثنين. قالت:

فكان ذلك مما يقّن عندي الحمل. فلما دنت ولادتي أتاني ذلك الآتي فقال: قولي أعيذه بالواحد الصمد من شر كل حاسد.

ذكر وفاة عبد الله

قال محمد بن كعب: خرج عبد الله بن عبد المطلب في تجارة إلى الشام مع جماعة من قريش، فلما رجعوا مروا بالمدينة وعبد الله مريض فقال: أتخلف عند أخوالي بني عدي ابن النجار. فقام عندهم شهراً ومضى أصحابه فقدموا مكة، فأخبروا عبد المطلب فبعث إليه ولده الحارث فوجده قد توفي ودُفن في دار النابغة وهو رجل من بني عدي، فرجع إلى أبيه فأخبره فوجد عليه وجداً شديداً ورسول الله (ﷺ) يومئذ حمْل. ولعبد الله يوم توفي خمس وعشرون سنة.

وقد روي عن عوانة بن الحكم أن عبد الله توفي بعد ما

أتى على رسول الله (ﷺ) ثمانية عشرون شهراً، وقيل سبعة أشهر، والقول الأول أصح، وأن رسول الله(ﷺ) كان حملاً يومئذ. وترك عبد الله أم أيمن وخمسة أجمال وقطعة غنم فورث رسول الله ذلك وكانت أم أيمن تحتضنُه.

ذكر مولد رسول الله (ﷺ)

اتفقوا على أن رسول الله (ﷺ) ولد يوم الاثنين في شهر ربيع الأول عام الفيل.

واختلفوا فيما مضى من ذلك الشهر لولادته على أربعة أقوال- **أحدها**: أنه ولد لليلتين خلتا منه، **والثاني**: لثمان خلون منه، **والثالث**: لعشر خلون منه، **والرابع**: لاثنتي عشرة خلت منه.

وروى محمد بن سعد عن جماعة من أهل العلم أن آمنة قالت: لقد عُلقت به (أي حملته) فما وجدت له مشقة، وأنه

لما فُصل عنها خرج له نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب ووقع إلى الأرض معتمداً على يديه.

وقال العباس بن عبد المطلب: ولد رسول الله (ﷺ) مختوناً مسروراً، فأعجب ذلك عبد المطلب وحظي عنده وقال: ليكوئن لابني هذا شأن، فكان له شأن.

وروى يزيد بن عبد الله بن وهب عن عمته: أن آمنة لما وضعت رسول الله(ﷺ) أرسلت إلى عبد المطلب، فجاءه البشير وهو جالس في الحجْر، فأخبره أن آمنة ولدت غلاماً، فسرّ بذلك وقام هو ومن معه فدخل عليها فأخبرته بكل ما رأت وما قيل لها وما أمرت به فأخذه عبد المطلب فأدخله الكعبة وقام عندها يدعو الله ويشكر ما أعطاه.

ذكر أسماء رسول الله (ﷺ)

عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: قال رسول

الله(ﷺ): ((لي خمسة أسماء، أنا محمد وأحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب))- رواه البخاري ومسلم.

وفي افراد مسلم من حديث أبي موسى قال: سمّى لنا رسول الله (ﷺ) نفسه فقال: ((أنا محمد وأحمد والمقفّي والماحي والحاشر ونبي التوبة والمَلْحَمة)) - وفي لفظ نبي الرحمة-.

وقد ذكر أبو الحسين بن فارس اللغوي أن لنبينا (ﷺ) ثلاثة وعشرين اسماً، محمد وأحمد والماحي والحاشر والعاقب والمقفي ونبي الرحمة ونبي التوبة والملحمة والشاهد والمبشر والبشير والنذير والسراج المنير والضحوك والقتّال والمتوكل والفاتح والأمين والخاتم والمصطفى والنبي والرسول، والأمي، والقُثَم.

والماحي: الذي يُمحى به الكفر، والحاشر: الذي يحشر الناس على قدميه أي يقدمهم وهم خلفه، والعاقب: آخر الأنبياء، والمقفي: بمعنى العاقب لأنه تبع الأنبياء، وكل شيء تبع شيئاً فقد قفاه، والملاحم: الحروب والضحوك: صفته في التوراة، قال ابن فارس: وإنما قيل له الضحوك لأنه كان طيب النفس فكهاً، وقال: إني لأمزح.

(والقُثَم) من معنيين: أحدهما من القَثْم وهو الإعطاء، يقال قَثَم له من العطاء يقثم إذا أعطاه، وكان عليه السلام أجود بالخير من الريح الهبابة. والثاني: من القَثْم الذي هو الجمع يقال للرجل الجَموع للخير قَثوم وقُثَم. والله أعلم.

ذكر من أرضعه

قالت برّة بنت أبي تجرأة: أول من أرضع رسول

الله(ﷺ) ثُويبة بلبن ابن لها، يقال له مسروح، أياماً قبل أن تُقدِم حليمة. وكا نت قد أرضعت قبله حمزة بن عبد المطلب، وأرضعت بعده سلمة بن عبد الأسد، ثم أرضعته حليمة بنت عبد الله السعدية.

وعن حليمة ابنة الحارث، أم رسول الله (ﷺ) التي أرضعته، - السعدية- قالت: خرجت في نسوة من بني سعد بن بكر بن هوازن نلتمس الرضعاء بمكة فخرجت على أتانٍ لي قَمْراء قد أدَمَّتْ بالرَّكْب قالت: وخرجنا في سنة شهباء لم تبق لنا شيئاً أنا وزوجي الحارث بن عبد العزّى، وقالت: ومعنا شارف لنا والله إنْ تبض علينا بقطرة من لبن، ومعي صبي لنا والله ما ننام ليلنا من بكائه ما في ثديي لبن يغنيه ولا في شارفنا من لبنٍ يغذّيه، إلا أنّا نرجو الخصب والفرج. فلما

قدمنا مكة لم تبق منا امرأة إلا عرض عليها رسول الله(ﷺ) فتأباه، وإنما كنا نرجو الكرامة في رضاعةِ من نُرضع له، من والد المولود، وكان يتيماً(ﷺ). فقلنا، ما عسى أن تصنع بنا أمه؟ فكنا نأبى حتى لم تبق من صواحباتي امرأة إلا أخذت رضيعاً، غيري. قالت: فكرهت أن أرجع ولم آخذ شيئاً وقد أخذ صواحباتي. فقلت لزوجي الحارث: والله لأرجعن إلى ذلك اليتيم فلآخذنّه.

قالت: فأتيته فأخذته ثم رجعت به إلى رحلي. قالت: فقال لي زوجي: قد أخذتِه؟ قلت نعم، وذلك أني لم أجد غيره. قال: قد أصبت عسى أن يجعل الله فيه خيراً.

قالت: والله ما هو إلا أن وضعته في حجري فأقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن فشرب حتى روي، وشرب أخوه

حتى روي، وقام زوجي الحارث إلى شارِفنا من الليل فإذا هي تحلب علينا ما شئنا، فشرب حتى روي، وشربت حتى رويت. قالت فبتنا بخير ليلة شِباعاً رِواءً، قالت: فقال زوجي: والله يا حليمة ما أراك إلا قد أصبت نسمةً مباركةً، قد نام صبياناً وقد روِينا ورويا.

قالت: ثم خرجنا. قالت: فو الله لخرجت أتاني أمام الركب قد قطعتهم حتى ما يتعلق بها منهم أحد، حتى إنهم ليقولون: ويحكِ يا بنت الحارث، كفّي علينا، أليست هذه أتانك التي خرجت عليها؟ فأقول: بلى والله. فيقولون: إن لها لشأناً.

حتى قدمنا منازلنا من حاضر منازل بني سعد بن بكر. قالت: فقدمنا على أجدب أرضِ الله. قالت: فو الذي نفس

حليمة بيده إن كانوا ليسرحون أغنامهم إذا أصبحوا، وأسرح راعي غنمي وتروح غنمي حفلاً بطاناً وتروح أغنامهم جياعاً هالكة ما لها من لبن، فنشرب ما شئنا من اللبن وما من الحاضر من أحد يحلب قطرة ولا يجدها. قالت: فيقولون لرعاتهم: ويلكم ألا تسرحون حيث يسرح راعي غنم حليمة؟ فيسرحون في الشِّعْب الذي تسرح فيه غنمي وتروح أغنامهم جياعاً ما لها من لبن وتروح غنمي حفلاً لبناً.

قالت: وكان يشب في اليوم شباب الصبي في شهر، ويشب في الشهر شباب الصبي في سنة. قالت: فبلغ سنين وهو غلام جفر. قالت: فقدمنا به على أمه فقلت لها أو قال لها زوجي: دعي ابني فلنرجع به فإنا نخشى عليه وباء مكة. قالت: ونحن أضنّ شيء به لِما رأينا من بركته (ﷺ). فلم نزل بها حتى قالت: ارجعا به. قالت: فمكث عندنا شهرين.

قالت: فبينما هو يلعب يوماً من الأيام هو وأخوه خلف البيت إذ جاء أخوه يشتد فقال لي ولأبيه: أدركا أخي القرشي فقد جاءه رجلان فأضجعاه فشقاً بطنه، قالت فخرجت وخرج أبوه يشتد نحوه فانتهينا إليه وهو قائم منتقع لونه فاعتنقْتُه واعتنقه أبوه وقال: مالك يا بني؟ قال: أتاني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني فشقّا بطني، والله ما أدري ما صنعا.

قالت: فاحتملناه فرجعنا به. قالت يقول زوجي: والله يا حليمة ما أرى الصبي إلا قد أصيب. فانطلقي فلنرده إلى أمه قبل أن يظهر به ما نتخوف عليه. قالت فرجعنا به إلى أمه، فقالت ما ردّكما به فقد كنتما حريصين عليه؟ فقلنا: لا والله إلا أنّا كفلناه وأدينا الذي علينا من الحق فيه، ثم تخوفنا عليه الأحداث فقلنا: يكون عند أمه فقالت: والله ما ذاك

بكما فأخبراني خبركما وخبره. قالت: فـو الله مـا زالـت بنـا حتى أخبرناها خبره. قالت أتخوفتما عليـه؟ لا والله إن لابـني هذا شأناً، ألا أخبركما عنه: إني حملت به فلم أحمل حملاً قـط هو أخف منه ولا أعظم بركة منه، لقد وضعته فلم يقـع كمـا يقع الصبيان، لقد وقع واضعاً يده في الأرض رافعاً رأسـه إلى السماء. دعاه والْحقا بشأنكما.

قال الشيخ: وظاهر هذا الحديث يـدل أن آمنـة حملـت غير رسول الله (ﷺ)؛ وقد قال الواقدي: لا يُعرف عنـد أهـل العلم أن آمنة وعبد الله وَلَدا غير رسول الله (ﷺ).

فأما حليمة: فهي بنت أبي ذؤيب واسمه عبـد الله بـن الحارث بن شحنة بن جابر، السـعدية، قـدمت علـى رسـول الله(ﷺ) وقد تزوج خديجة، فشكت إليه جَـدب الـبلاد فكلّـم خديجة فأعطتها أربعين شاة وأعطتها بعيراً، ثـم قـدمت عليـه

بعد النبوة فأسملت وبايعت وأسلم زوجها الحارث بن عبد العزّى.

قال محمد بن المنكدر: استأذنتِ امرأة على النبي (ﷺ) وقد كانت أرضعته، فلما دخلت قال أمي أمي، وعمد إلى ردائه فبسطه لها فجلست عليه.

فأما ((ثويبة)) فهي مولاة أبي لهب ولا نعلم أحداً ذكر أنها أسلمت غير ما حكى أبو نعيم الأصفهاني أن بعض العلماء قال: قد اختلف في إسلامها.

وروى الواقدي عن جماعة من أهل العلم أن رسول الله(ﷺ) كان يكرمُ ((ثويبة)) ويصلها وهي بمكة، فلما هاجر كان يبعث إليها بكسوةٍ وَصِلَة، فجاءه خبرها سنة سبع مرجعَه من خيبر أنها توفيت.

عن عروة قال: كانت ثويبة لأبي لهب وأعتقها

فأرضعت النبي (ﷺ) فلما مات أبو لهب رآه بعض أهله في النوم، ماذا لقيت يا أبا لهب؟ فقال: ما رأيت بعدكم روحاً غير أني سقيت في هذه مني بعتقي ثويبة. قال وأشار إلى بين الإبهام والسبابة.

ذكر وفاة أمه آمنة

لما ردّته حليمة أقام رسول الله (ﷺ) عند أمه آمنة إلى أن بلغ ستّ سنين ثم خرجت به إلى المدينة إلى أخواله بني عدي بن النجار تزورهم به ومعها أم أيمن تحضنه. فأقامت عندهم شهراً ثم رجعت به إلى مكة فتوفيت بالأبواء فقبرها هنالك فلما مر رسول الله (ﷺ) بالأبواء في عمرة الحديبية زار قبرها وبكى.

وأخرج مسلم في افراده من حديث أبي هريرة عن

النبي(ﷺ) أنه قال: استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلـم يـأذن لي واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي.

ذكر ما كان من أمره بعد وفاة أمه آمنة

روى محمد بن سعد عن جماعة من أهـل العلـم، مـنهم مجاهد والزهري، أن آمنـة لمـا توفّيـت قـبض رسـول الله (ﷺ) جدُّه عبد المطلب وضمه إليـه ورقَّ عليـه رقـة لم يرقّهـا علـى ولده وقربـه وأدنـاه، وأن قومـاً مـن بـني مـدلج قـالوا لعبـد المطلب: احتفظ به فإنا لم نر قدماً أشبه بالقـدم الـتي في المقـام منه. فقال عبد المطلب لأبي طالب: اسمع مـا يقـول هـؤلاء، فكان أبو طالب يحتفظ به. فلما حضرت عبد المطلـب الوفـاة أوصى أبا طالب بحفظه. ومات عبد المطلب فـدفن بـالحجون ابن اثنتين وثمانين سنة، وقيل ابن مائةٍ وعشر سـنين، ويقـال وعشرين سنة.

وسئل رسول الله (ﷺ) أتذكر موت عبد المطلب قال: نعم وأنا يومئذ ابن ثماني سنين. قالت أم أيمن: رأيت رسول الله(ﷺ) يومئذ يبكي عند قبر عبد المطلب وذكر بعض العلماء أنه كان لرسول الله (ﷺ) يوم موت عبد المطلب ثماني سنين وشهران وعشرة أيام.

ذكر كفالة أبي طالب للنبي (ﷺ)

ذكر جماعة من أهل العلم أنه لما توفي عبد المطلب قبض رسول الله (ﷺ) أبو طالب، وكان يحبه حباً شديداً ويقدّمه على أولاده. فلما بلغ رسول الله (ﷺ) اثنتي عشرة سنة وشهرين وعشرة أيام ارتحل به أبو طالب تاجراً نحو الشام فنزل ((تيماء)) فرآه حبر من اليهود يقال له بحيرا الراهب فقال: من هذا الغلام معك؟ فقال: هو ابن أخي فقال:

أشفيقٌ عليه أنت؟ قال: نعم. قال: فو الله لئن قدمت به الشام ليقتلنّه اليهود، فرجع به إلى مكة.

حديث بحيرا الراهب

عن داود بن الحصين، قال: لما خرج أبو طالب إلى الشام وبها راهب يقال له، بحيرا في صومعة له، وكان علماء النصارى يكونون في تلك الصومعة يتوارثونها عن كتاب يدرسونه. فلما نزلوا ببحيرا وكانوا كثيراً ما يمرون به لا يكلمهم حتى إذا كان ذلك العام ونزلوا منزلاً قريباً من صومعته قد كانوا ينزلونه قبل ذلك كلما مروا، فصنع لهم طعاماً ثم دعاهم، وإنما حمله على دعائهم أنه رآهم حين طلعوا وغمامةٌ تظلّ رسول الله (ﷺ) من بين القوم حتى نزلوا تحت الشجرة. ثم نظر إلى تلك الغمامة أظلت تلك الشجرة وأخضلت أغصان الشجرة على النبي (ﷺ) حين استظل

تحتها. فلما رأى ذلك نزل من صومعته وأمر بذلك الطعام فأتي به. وأرسل إليهم فقال: إني قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش وأنا أحب أن تحضروه كلكم ولا تخلفوا منكم صغيراً ولا كبيراً، حراً ولا عبداً، فإن هذا شيء تكرمونني به. فقال رجل: إنّ لك لشأناً يا بحيرا. ما كنت تصنع بنا هذا فما شأنك اليوم؟ قال: فإني أحببت أن أكرمكم فلكم حق.

فاجتمعوا إليه وتخلف رسول الله (ﷺ) من بين القوم لحداثة سنة ليس في القوم أصغر منه في رحالهم تحت الشجرة، فلما نظر بحيرا إلى القوم فلم ير الصفة التي يعرف ويجدها عنده، وجعل ينظر فلا يرى الغمامة على أحدٍ من القوم، وراها متخلفة على رأس رسول الله (ﷺ)، فقال بحيرا: يا معشر قريش لا يتخلفنَّ أحد منكم عن طعامي. قالوا: ما تخلف أحد إلا غلام هو أصغر القوم سناً في رحالهم.

فقال: ادعوه فليحضر طعامي فما أقبح أن يتخلف

رجل واحد مع أني أراه من أنفسكم. فقال القوم: هو والله أوسطنا نسباً وهو ابن أخي هذا الرجل، يعنون أبا طالب، وهو من ولد عبد المطلب، فقال الحارث بن عبد المطلب: والله إن كان بنا لَلؤم أن يتخلف ابن عبد المطلب من بيننا. ثم قام إليه فاحتضنه وأقبل به حتى أجلسه على الطعام، والغمامة تسير على رأسه، وجعل بحيرا يلحظه لحظاً شديداً، وينظر إلى أشياء في جسده قد كان يجدها عنده من صفته، فلما تفرقوا عن طعامهم قام إليه الراهب فقال: يا غلام أسألك بحق اللات والعزّى إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه، فقال رسول الله (ﷺ): لا تسألني باللات والعزى، فو الله ما أبغضت شيئاً بغضهما. قال فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه، قال: سلني عما بدا لك.

فجعل يسأله عن أشياء من حاله حتى نومه، فجعل رسول الله (ﷺ) يخبره فيوافق ذلك ما عنده، ثم جعل ينظر

بين عينيه، ثم كشف عن ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على الصفة التي عنده، فقبّل موضع الخاتم، وقالت قريش: إن لمحمدٍ عند هذا الراهب لقدراً، وجعل أبو طالب لما يرى من الراهب يخاف على ابن أخيه، فقال الراهب لأبي طالب: ما هذا الغلام منك؟ قال أبو طالب: ابني. قال: ما هو بابنك وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً. قال: فابن أخي. قال فما فعل أبوه؟ قال: هلك وأمه حبلى به، قال: فما فعلت أمه؟ قال: توفيت قريباً. قال: صدقت ارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه اليهود، فو الله لئن رأوه وعرفوا منه ما أعرف ليبغنه بغياً، فإنه لابن أخيك هذا شأن عظيم نجده في كتبنا وما روينا عن آبائنا وأعلم أني قد أديت إليك النصيحة.

فلما فرغوا من تجارتهم خرج به سريعاً، وكان رجال من يهود قد رأوا رسول الله (ﷺ) وعرفوا صفته فأرادوا أن

يغتالوه فذهبوا إلى بحيرا فذاكروه أمره فنهاهم أشد النهي وقال لهم: أتجدون صفته؟ قالوا: نعم. قال: فما لكم إليه سبيل. فصدقوه وتركوه.

ورجع به أبو طالب فما خرج به سفراً بعد ذلك خوفاً عليه.

قال الشيخ رحمه الله: وما زال(ﷺ) في صغره أفضل الخلق مروءة وأحسنهم خلقاً وأصدقهم حديثاً وأبعدهم من الفحش والأذى حتى سماه قومه الأمين.

ذكر رعيه الغنم (ﷺ)

عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ) قال: ((ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم)). فقال أصحابه: وأنت؟ قال: ((نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة))-. انفرد بإخراجه البخاري.

يغتالوه فذهبوا إلى بحيرا فذاكروه أمره فنهاهم أشد النهي وقال لهم: أتجدون صفته؟ قالوا: نعم. قال: فما لكم إليه سبيل. فصدقوه وتركوه.

ورجع به أبو طالب فما خرج به سفراً بعد ذلك خوفاً عليه.

قال الشيخ رحمه الله: وما زال(ﷺ) في صغره أفضل الخلق مروءة وأحسنهم خلقاً وأصدقهم حديثاً وأبعدهم من الفحش والأذى حتى سماه قومه الأمين.

ذكر رعيه الغنم (ﷺ)

عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ) قال: ((ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم)). فقال أصحابه: وأنت؟ قال: ((نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة))-. انفرد بإخراجه البخاري.

ذكر خروجه (ﷺ) إلى الشام مرة أخرى

قد ذكرنا أنه خرج مع أبي طالب وهو ابن اثنتي عشرة سنة فلما بلغ خمساً وعشرين سنة قال له أبو طالب: أنا رجل لا مال لي وقد اشتدّ علينا الزمان، وهذه عِير قومك قد حضر خروجها إلى الشام، وخديجة تبعث رجالاً من قومك، فلو جئتها فعرضت نفسك عليها لأسرعت إليك.

وبلغ خديجة ما قال له أبو طالب فقالت: أنا أعطيك ضعف ما أعطي رجلاً من قومك. فقال أبو طالب: هذا رزق قد ساقه الله إليك.

فخرج مع غلامها ميسرة: وجعل عمومته يوصون به أهل العير حتى قدِما ((بُصْرى)) من الشام فنزلا في ظل شجرة، فقال نسطورا الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي. ثم قال لميسرة: أفي عينيه حمرة؟ قال: نعم لا تفارقه.

فقال: هو نبي، وهو آخر الأنبياء. ثم باع سلعته فوقع بينه وبين رجل تلاحٍ فقال له: احلف باللات والعزى. فقال رسول الله (ﷺ): ما حلفت بهما قط وإني لامرؤ أعرض عنهما... فقال الرجل: القول قولك. وكان ميسرة، إذا كانت الهاجرة واشتد الحرّ، يرى ملكين يظلان رسول الله (ﷺ) من الشمس.

ودخل رسول الله (ﷺ) مكة في ساعة الظهيرة وخديجة في عُلِيَّةٍ لها، فرأت رسول الله (ﷺ) على بعيره، وملكان يظلاّن عليه، فأرته نساءها فعجبن لذلك، ودخل عليها رسول الله(ﷺ) فأخبرها بما ربحوا في وجههم فسرّت بذلك. فلما دخل ميسرة أخبرته بما رأت، فقال: قد رأيت هذا منذ خرجنا من الشام. وأخبرها بما قال الراهب.

ذكر تزويج رسول الله (ﷺ) خديجة

قالت نفيسة بنت مُنْيَة: كانت خديجة بنت خُويلد بن أسد بن العزى بن قُصيّ، امرأةً حازمة جلدة شريفة، أوسطَ قريشٍ نسباً وأكثرهم مالاً، وكلّ قومها كان حريصاً على نكاحها لو قدر على ذلك. قد طلبوها وبذلوا لها الأموال، فأرسلتني دسيساً إلى محمد بعد أن رجع من الشام، فقلت يا محمد: ما يمنعك أن تَزوج؟

فقال: ما بيدي ما أتزوج به، قلت: فإن كفيت ذلك ودُعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة ألا تجيب؟ قال: فمن هي؟ قلت: خديجة. قال: وكيف بذلك؟ قلت: عليّ. قال: وأنا أفعل: فذهبت فأخبرتها، فأرسلت إليه أن ائت لساعة كذا وكذا وأرسلت إلى عمها عمرو بن أسد ليزوجها

فحضر، ودخل رسول الله (ﷺ) في عمومته فتزوجها وهو ابن خمس وعشرين سنة، وخديجة يومئذ بنت أربعين سنة.

وقد ذكر بعض العلماء أن أبا طالب حضر العقد ومعه بنو مُضر، فقال أبو طالب:

الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرْع إسماعيل، وضئضئ معدّ، وعنصر مضر، وجعلنا حضنة بيته وسوّاس حرمه، وجعل لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمناً، وجعلنا الحكّام على الناس. ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل إلا رجح به، فإن كان في المال قُلّ، فإن المال ظل زائل وأمر حائل، ومحمد من قد عرفتم قرابته، وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها الصداق ما آجله وعاجله من مالي، وهو بعد هذا والله له نبأ عظيم وخطر جليل.

فتزوجها رسول الله (ﷺ).

ذكر علامات النبوة في رسول الله (ﷺ) قبل أن يوحى إليه

قال الشيخ: قد ذكرنا أن أمه آمنة رأت عند ولادته نوراً أضاء له المشرق والمغرب وقد روي عنه (ﷺ) أنه قال: ((رأت أمي نوراً أضاءت له قصور الشام)). وقد ذكرنا شق بطنه في صغره، وحديث ميسرة والراهب وحديث بحيرا والغمامة التي كانت تظله، والأحاديث في هذا كثير، إلا أنا نروم الاختصار فلهذا نحذف.

وعن ابن عباس قال: أول شيء رأى النبي (ﷺ) من النبوة أن قيل له استتر، وهو غلام، فما رئيت عورته من يومئذ.

وقالت برّة بنت أبي تجرأة: لما ابتدأه الله تعالى بالنبوّة كان إذا خرج لحاجته أبعدَ حتى لا يرى بيتاً ويفضي إلى الشعاب وبطون الأودية، فلا يمر بحجر ولا شجرة إلا قال:

((السلام عليك يا رسول الله)) فكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحداً.

وعن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله (ﷺ): ((إني لأعرفُ حجراً بمكة كان يسلّم عليّ قبل أن أبعث. إني لأعرفه الآن (رواه الإمام أحمد) وانفرد بإخراجه مسلم.

فصل

فلما بلغ رسول الله (ﷺ) خمساً وثلاثين سنة شهد بنيان الكعبة وتراضت قريش بحكمه فيها، وكانوا قد اختلفوا فيمن يضع الحجر، فاتفقوا على أن يحكم بينهم أول داخل يدخل المسجد فدخل رسول الله (ﷺ) فقالوا: هذا الأمين، فقال: هلمّوا ثوباً، فوضع الحجر فيه وقال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من نواحيه وارفعوه جميعاً، ثم أخذ الحجر بيده فوضعه في مكانه.

ذكر بدء الوحي

روى مسلم في الصحيح أن النبي (ﷺ) سُئل عن صوم الاِثْنَيْنِ، فقال: ((فيه ولدت وفيه أُنْزِلَ عَلَيَّ)).

وعن عائشة أنها قالت: أول ما ابتدئ به رسول الله(ﷺ) من الوحي الرؤيا الصادقة، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثم حُبِّب إليه الخلاء فكان يأتي جبل حراء يتحنّث فيه، وهو التعبد الليالي ذوات العدد، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فتزوّده لمثلها، حتى فَجِئَهُ الحق وهو في غار حراء فجاءه الحق فيه فقال: اقرأ فقال رسول الله(ﷺ)، فقلت: ما أنا بقارئ. قال: فأخذني فغطّني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت ما أنا بقارئ. فأخذني فغطّني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ (سورة العلق: ١)، قال: فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال: ((زمّلوني

زمّلوني)) فزمّلوه حتى ذهب عنه الروع، فقال: يا خديجة ما لي؟ وأخبرها الخبر. قال: قد خشيت عليّ، فقالت له: كلا أبشر فو الله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرَّحم وتصدق الحديث وتحمل الكلَّ وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق.

ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزّى بن قصي وهو ابن عم خديجة أخي أبيها وكان امرأ تنصّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي، فكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت خديجة: أيْ ابنَ عَمّ اسمع من ابن أخيك. قال ورقة: يا ابن أخي ما ترى؟ فأخبره رسول الله(ﷺ) ما رأى، فقال ورقة: هذا الناموس الذي أُنزل على موسى(ﷺ)، يا ليتني فيها جذعاً أكون حياً حين يخرجك

قومك. قال رسول الله (ﷺ): أوَمُخرجـيَّ هـم؟ فقـال ورقـة: نعم، لم يأت رجلٌ قطُّ بما جئت بـه إلا عُـودي، وإن يـدركني يومك أنصرك نصراً مؤزّراً.

ثم لم ينشب ورقة أن تـوفي. وفـتر الـوحي فـترة حتـى حزن رسول الله (ﷺ) - فيما بلغنا- حزناً غدا منه مراراً لكي يتردّى من رؤوس شواهق الجبال، فكلما أوفى بـذروة جبـلٍ لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبريل عليـه السـلام فقـال: يـا محمد إنك رسول الله حقاً. فيسكن لذلك جأشـه وتقـرّ نفسـه (ﷺ) فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فإذا أوفى بذروة جبلٍ تبدى له جبريـل عليـه السـلام فقـال مثـل ذلك. أخرجاه في الصحيحين.

وعن جابر بن عبد الله: قـال: سمعـت الـنبي (ﷺ) وهـو يحدث عن فترة الوحي قال في حديثه: فبينا أنا أمشـي: سمعـت

صوتاً من السماء، فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض. فجئثتُ منه رعباً فجئت فقلت زملوني. فدثروني، فأنزل الله عزوجل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ (سورة المدثر: ١)، أخرجاه في الصحيحين.

ومعنى ((فجئثت)) فرقت يقال رجل مجؤوث.

ذكر كيفية إتيان الوحي إليه (ﷺ)

عن عائشة: أن الحارث بن هشام سأل رسول الله (ﷺ) فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله: أحياناً يأتيني في مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول، قالت عائشة: وقد رأيته ينزل عليه في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً - أخرجاه في الصحيحين.

وأخرجا من حديث يعلى بن أمية أنه كان يقول لعمر: ليتني أرى رسول الله (ﷺ) حين ينزل عليه الوحي. فلما كان النبي (ﷺ) بالجِعْرانة جاءه رجل فسأله عن شيء، فجاءه الوحي، فأشار عمر إلى يعلى أن تعالَ، فجاء يعلى فأدخل رأسه فإذا هو محمرّ الوجه يغطّ كذلك ساعةً ثم سُرّي عنه.

وعن زيد بن ثابت قال: إني قاعد إلى جنب النبي (ﷺ) يوماً إذا أوحي إليه وغشيته السكينة ووقع فخذه على فخذي حين غشيته السكينة. قال زيد: فلا والله ما وجدت شيئاً قط أثقل من فخذ رسول الله (ﷺ). ثم سُرّي عنه فقال: اكتب يا زيد.

وفي أفراد البخاري من حديث زيد بن ثابت قال: أملى علي رسول الله (ﷺ): ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة النساء: ٩٥) فجاءه ابن أمّ مكتوم وهو يمليها علي فقال: والله

يا رسول الله لو أستطيع الجهاد لجاهدت. وكان أعمى. فأنزل الله عز وجل على رسوله وفخذه على فخذي، فثقلت علي حتى خفت أن ترضّ فخذي، ثم سُرّي عنه فأنزل الله عز وجل ﴿ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ ﴾ (سورة النساء:٩٥).

وقال عبادة بن الصامت: كان رسول الله (ﷺ) إذا نزل عليه الوحي كرب له وتربّد وجهه.

وقال أبو أروى الدوسي: رأيت الوحي ينزل على رسول الله (ﷺ) وإنه على راحلته فترغو وتفتل يديها حتى أظن أن ذراعها تنفصم، وربما بركت وربما قامت موتدة يديها حتى يسرى عنه من ثقل الوحي، وإنه ليتحدر منه مثل الجُمان.

ذكر رمي الشياطين بالشهب لمبعثه

قال العلماء بالسير: رأت قريش النجوم يُرمى بها بعد عشرين يوماً من مبعث رسول الله (ﷺ).

عن ابن عباس قال: انطلق رسول الله (ﷺ) في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حِيلَ بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب. قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الأمر الذي حال بينكم وبين خبر السماء.

قال: فانطلق الذين توجّهوا نحو تِهامة إلى رسول الله(ﷺ) بنخلة وهو عامد إلى سوق عكاظ وهو يصلي

بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن تسمعوا له فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء. فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ (سورة الجن:٢) وأنزل الله على نبيه: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾(سورة الجن:١) أخرجاه في الصحيحين.

وعنه قال: كان الجن يسمعون الوحي فيسمعون الكلمة فيزيدون عليها عشراً فيكون ما سمعوه حقاً وما زادوه باطلاً. وكانت النجوم لا يرمى بها قبل ذلك، فلما بُعث النبي (ﷺ) كان أحدهم لا يقعد مقعده إلاّ رمي بشهاب يحرق ما أصاب. فشكوا ذلك إلى إبليس فقال: ما هذا إلا من أمر قد حدث، فبث جنوده فإذا هم بالنبي (ﷺ) يصلي بين جبلي نخلة فأتوه فأخبروه فقال: هذا الذي حدث في الأرض.

قال الشيخ: وهذا الحديث يدل على أن النجوم لم يرم بها قبل مبعث نبينا (ﷺ). وقد روينا عن الزهري أنه قال: قد كان يرمى بها قبل ذلك ولكنها غلظت حين بُعث النبي (ﷺ).

ذكر اعتراف أهل الكتاب بنبوته (ﷺ)

قال كعب الأحبار: نجدُ نعت رسول الله (ﷺ) في التوراة: محمد بن عبد الله عبدي المختار، مولده بمكة، ومهاجره المدينة، لا فظ ولا غليظ ولا صخّاب في الأسواق.

وعن أبي هريرة قال أتى رسول الله (ﷺ) بيت المِدراس فقال: اخرجوا إلي أعلمكم. فقالوا: عبد الله بن صوريا. فخلا به رسول الله (ﷺ) فناشده بدينه وبما أنعم الله به عليهم وأطعمهم من المنّ والسلوى، وظلّلهم به من الغمام: أتعلم أني رسول الله؟ قال: اللهم نعم، وإن القوم ليعرفون ما أعرف، وإن صفتك ونعتك لمبيّن في التوراة، ولكنهم

حسدوك. قال: فما يمنعك أنت؟ قال: أكره خلاف قومي، وعسى أن يتبعوك ويسلموا فأسلم.

وعن ابن عباس قال: كانت يهود قُريظة والنّضير وفَدك وخيبر يجدون صفة النبي (ﷺ) عندهم قبل أن يبعث وأن دار هجرته المدينة فلما ولد رسول الله (ﷺ) قالت أحبار يهود: ولد أحمد الليلة. فلما نبئ قالوا: قد نبئ أحمد، يعرفون ذلك يقرّون به ويصفونه، فما منعهم عن إجابته إلا الحسد والبغي.

وعن عبد الحميد بن جعفر عن أبيه قال: كان الزبير بن باطا- وكان أعلم اليهود- يقول: إني وجدت سِفراً كان أبي يختمه عليّ، فيه ذُكر أن أحمد نبيٌّ صفته كذا وكذا. فحدث به الزبير بعد أبيه والنبي (ﷺ) لم يبعث، فما هو إلا أن سمع بالنبي(ﷺ) قد خرج إلى مكة فعمد إلى ذلك السفر فمحاه وكتم شأن النبي (ﷺ) وقال: ليس به.

وعن سلمة بن سلامة بن وقش قال: كان لنا جار من يهود في بني عبد الأشهل، قال: فخرج علينا يوماً من بيته قبل أن يبعث النبي (ﷺ) بيسير، حتى وقف على مجلس بني عبد الأشهل. قال سلمة: وأنا يومئذ أحدثُ من فيه سنّاً عليَّ بردة مضطجعاً فيها بفناء أهلي، فذكر البعث والقيامة والحساب والميزان والجنة والنار، فقال ذلك لقومٍ أهل شرك، أصحاب أوثان لا يرون أن بعثاً كائن بعد الموت. فقالوا له: ويحك يا فلان ترى هذا كائناً أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دارٍ فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم؟ قال: نعم والذي يحلف به يود أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور في الدنيا يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطبقونه عليه، وأن ينجو من تلك النار غداً. قالوا له: ويحك وما آية ذلك؟ قال: نبي يبعث من نحو هذه البلاد، وأشار بيده نحو مكة واليمن، قالوا: ومتى تراه؟ قال فنظر إليَّ وأنا من أحدثهم سناً فقال: إن يستنفد هذا الغلام

عمره يدركه.

قال سلمة: فو الله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله تعالى رسول الله(ﷺ) وهو حي بين أظهرنا، فآمنا به وكفر به بغياً وحسداً، فقلنا: ويلك يا فلان ألست الذي قلت لنا فيه ما قلت؟ قال: بلى وليس به.

ذكر بدء دعاء رسول الله (ﷺ) الناس إلى الإسلام

روى عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه أن رسول الله(ﷺ) كان يدعو من أول ما أنزلت عليه النبوة ثلاث سنين مستخفياً ثم أمر بإظهار الدعاء.

وقال يعقوب بن عتبة: كان أبو بكر وعثمان وسعيد بن زيد وأبو عبيدة بن الجراح يدعون إلى الإسلام سراً، وكان عمر وحمزة يدعوان علانية، فغضبت قريش لذلك.

ذكر طرف من معجزاته (ﷺ)

اعلم أن معجزات رسول الله (ﷺ) كثيرة، ونحن نذكر طرفاً منها: وأكبر معجزاته الدالة على صدقه القرآن العزيز الذي لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لم يقدروا وكفى به.

عن ابن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله(ﷺ) شقتين حتى نظروا إليه، فقال رسول الله (ﷺ): اشهدوا. أخرجاه في الصحيحين والروايات في الصحيح بانشقاق القمر عن ابن عمر وابن عباس وأنس.

وعن عمران بن حصين قال: كنا في سفر مع رسول الله(ﷺ) وكنا أسرينا حتى إذا كنا في آخر الليل وقعنا تلك الوقعة، ولا وقعة عند المسافر أحلى منها، قال: فما أيقظنا إلا حرّ الشمس، وكان أول من استيقظ فلان ثم فلان ثم فلان وكان يسمّيهم أبو رجاء ونسيهم عوف، ثم عمر بن الخطاب

الرابع، وكان رسول الله (ﷺ) إذا نام لم نوقظه حتى يكون هو يستيقظ لأنا ما ندري ما يحدث أو حدث له في نومه.

فلما استيقظ عمر ورأى ما أصاب الناس وكان رجلاً أجوف جليداً قال فكبر ورفع صوته بالتكبير فما زال يكبر ويرفع صوته حتى استيقظ لصوته رسول الله (ﷺ)، فلما استيقظ رسول الله (ﷺ) شكوا إليه الذي أصابهم فقال: لا ضير، أو لا يضير، ارتحلوا فارتحل فسار غير بعيد، ثم نزل فدعا بالوضوء فتوضأ، ونودي بالصلاة فصلى بالناس، فلما انفتل من صلاته إذا هو برجل معتزل لم يصلِّ مع القوم فقال: ما منعك يا فلان أن تصلي مع القوم؟ فقال: يا رسول الله أصابتني جنابة ولا ماء. قال عليك بالصعيد الطيب فإنه يكفيك.

ثم سار رسول الله (ﷺ) فاشتكى إليه الناس العطش

فنزل فدعا فلاناً كان يسميه أبو رجاء ونسيه عوف، ودعا علياً عليه السلام فقال: اذهبا فابغيا الماء فذهبا فلقيا امرأة بين مزادتين أو سطيحتين من ماء على بعيرها فقالا لها: أين الماء؟ فقالت: عهدي بالماء أمس هذه الساعة، ونفَرنا خُلوف. قال: فقالا لها فانطلقي إذاً. قالت: إلى أين؟ قالا: إلى رسول الله(ﷺ). قالت: هذا الذي يقال له الصابئ؟ قالا: هو الذي تعنين فانطلقي. فجاءا بها إلى رسول الله (ﷺ) فحدّثاه الحديث، فاستنزلوها عن بعيرها، ودعا رسول الله (ﷺ) بإناء فأفرغ فيه من أفواه المزادتين أو السطيحتين وأوكى أفواههما وأطلق العزالي ونودي في الناس أن اسقوا واستقوا فسقى من شاء واستقى من شاء، فكان آخر ذلك أن أعطى الذي أصابته الجنابة إناء من ماء فقال: اذهب فأفرغه عليك. قال،

وهي قائمة تنظر: ما يفعل بمائها؟ قال وايم الله لقد أقلع عنها وإنه ليخيل إلينا أنها أشد ملئة منها حين ابتدئ فيها. فقال رسول الله (ﷺ): اجمعوا لها. فجمع لها من بين عجوة ودقيقة وسويقة حتى جمعوا لها طعاماً كثيراً وجعلوه في ثوب وحملوه على بعيرها ووضعوا الثوب بين يديها، فقال لها رسول الله (ﷺ) تعلمين والله ما رزأناك من مائك شيئاً ولكن الله عز وجل هو الذي سقانا.

قال: فأتت أهلها وقد احتبست عنهم فقالوا: ما حبسك يا فلانة؟ قالت العجب، لقيني رجلان فذهبا بي إلى هذا الذي يقال له الصابئ ففعل بمائي كذا وكذا، فوالله إنه لأسحر من بين هذه وهذه، وقالت بأصبعها الوسطى والسبابة، فرفعتهما إلى السماء - تعني السماء والأرض -

وإنه لرسول الله حقاً. قال: فكان المسلمون بعد ذلك يغيرون على ما حولها من المشركين ولا يصيبون الصِّرم الذي هي منه. فقالت يوماً لقومها: ما أدري هؤلاء القوم الذين يدعونكم عمداً فهل لكم في الإسلام؟ فأطاعوها فدخلوا في الإسلام. أخرجاه في الصحيحين.

وعن أنس بن مالك أن رسول الله (ﷺ) كان بالزوراء فأتي بإناء فيه ماء لا يغمر أصابعه أو قدر ما يواري أصابعه فأمر أصحابه أن يتوضؤوا. فوضع كفه في الماء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه وأطراف أصابعه، حتى توضأ القوم قال: فقلنا لأنس: كم كنتم؟ قال كنا ثلاثمائة. أخرجاه في الصحيحين.

وعن جابر قال: عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله(ﷺ) بين يديه ركوة، فتوضأ منها ثم أقبل الناس نحوه،

فقال رسول الله (ﷺ): مالكم؟ قالوا: يا رسول الله ليس عندنا ما نتوضأ به ولا نشرب ماءً إلا في ركوتك فوضع النبي(ﷺ) يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون. فشربنا وتوضأنا، فقلت لجابر: كم كنتم يومئذ؟ قال: لو كنا مائة ألفٍ لكفانا، كنا خمس عشرة مائة. أخرجاه في الصحيحين.

وعن أنس بن مالك قال: أصابت الناس سنةٌ على عهد رسول الله (ﷺ) فبينا رسول الله (ﷺ) يخطب على المنبر يوم الجمعة إذ قام أعرابي فقال: يا رسول الله (ﷺ) هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا أن يسقينا. فرفع رسول الله (ﷺ) يديه وما في السماء قزعة فثار سحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى رأينا المطر يتحادر عن لحيته. قال فمطرنا يومنا ذلك، ومن الغد، ومن بعد الغد، والذي يليه إلى الجمعة الأخرى، فقام ذلك الأعرابي أو رجل غيره فقال: يا رسول

الله تهدّم البناء وغرق المال، ادع الله لنا. فرفع رسول الله (ﷺ) يديه وقال: اللهم حوالينا ولا علينا قال: فما جعل يشير بيده إلى ناحية من السماء إلا انفرجت حتى صارت المدينة في مثل الجَوبة، حتى سال الوادي وادي قناة شهراً فلم يجئ أحد من ناحية إلا حدث بالجود. أخرجاه في الصحيحين.

وعن جابر بن عبد الله قال: كان جذع يقوم عليه النبي(ﷺ) فلما وضع له المنبر سمعنا للجذع مثل أصوات العشار حتى نزل النبي (ﷺ) فوضع يده عليه (رواه البخاري).

وقد روى محمد بن سعد عن أشياخ له أن قريشاً لما تكاتبت على بني هاشم حين أبوا أن يدفعوا إليهم رسول الله(ﷺ)، وكانوا تكاتبوا أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يخالطوهم في شيء ولا يكلموهم فمكثوا ثلاث سنين في شعبهم محصورين، ثم أطلع الله نبيه على أمر صحيفتهم، وأن

الآكلة قد أكلت ما كان فيها من جور أو ظلم، وبقي فيها ما كان من ذكر الله. فذكر ذلك رسول الله (ﷺ) لأبي طالب فقال أبو طالب أحقّ ما تخبرني به يا ابن أخي؟ قال: نعم والله. فذكر ذلك أبو طالب لإخوته وقال: والله ما كذبني قط، قالوا: فما ترى؟ قال: أرى أن تلبسوا أحسن ثيابكم وتخرجوا إلى قريش فنذكر ذلك لهم قبل أن يبلغهم الخبر. فخرجوا حتى دخلوا المسجد، فقال أبو طالب: إنّا قد جئنا لأمر فأجيبوا فيه. قالوا: مرحباً بكم وأهلاً. قال: إن ابن أخي قد أخبرني ولم يكذبني قط أن الله قد سلط على صحيفتكم التي كتبتم الأرضة فلحست كل ما كان فيها من جور أو ظلم أو قطيعة رحم، وبقي فيها كل ما ذكر به الله، فإن كان ابن أخي صادقاً نزعتم عن سوء رأيكم، وإن كان كاذباً دفعته إليكم فقتلتموه أو استحييتموه إن شئتم. قالوا أنصفتنا، فأرسلوا إلى الصحيفة فلما فتحوها إذا هي كما قال رسول(ﷺ)، فسقط في

أيدي القوم ثم نكسوا على رؤوسهم. فقال أبو طالب: هل تبين لكم من أولى بالظلم والقطيعة؟ فلم يراجعه أحد منهم، ثم انصرفوا.

ذكر طرف من إخباره بالغائبات (ﷺ)

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): "إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هَلَك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله" (أخرجاه الصحيحين).

وعنه قال شهدنا مع رسول الله (ﷺ) خيبر فقال لرجل ممن يدعي الإسلام: هذا من أهل النار. فلما حضرنا القتال قاتل الرجل قتالاً شديداً فأصابته جراحة، فقيل: رسول الله، الرجل الذي قلت من أهل النار قاتل قتالاً شديداً وقد مات. فقال رسول الله (ﷺ) إلى النار، وكاد بعض القوم يرتاب، فبينما هم على ذلك إذ قيل إنه لم يمت ولكن به جراح شديد،

فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه، فأخبر النبي (ﷺ) بذلك فقال: الله أكبر أشهد أني عبد الله ورسوله. ثم أمر بلالاً فنادى في الناس أنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة وأن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر (أخرجاه في الصحيحين).

وعن عبد الله بن مسعود قال: انطلق سعد بن معاذ معتمراً فنزل على أمية بن خلف، وكان أمية إذا انطلق إلى الشام فمرّ بالمدينة نزل على سعد. فقال أمية لسعد انتظر حتى إذا انتصف النهار وغفل الناس انطلقت فطفت. فبينا سعد يطوف إذا أبو جهل قال: من يطوف بالكعبة؟ فقال أنا سعد. فقال أبو جهل: تطوف بالكعبة آمناً وقد آويتم محمداً وأصحابه؟ قال: نعم. فتلاحيا بينهما، فقال أمية لسعد: لا ترفع صوتك على أبي الحكم فإنه سيد أهل الوادي. ثم قال

سعد: والله لئن منعتني أن أطوف بالبيت لأقطعنّ متجرك بالشام. قال: فجعل أمية يقول لسعد: لا ترفع صوتك. وجعل يمسكه فغضب سعد فقال: دعنا عنك فإني سمعت محمداً (ﷺ) يزعم أنه قاتلك. قال: إياي؟ قال: نعم، قال: والله ما نكذّب محمداً إذا حدّث.

فرجع إلى امرأته فقال: أما تعلمين ما قال لي أخي اليثربي؟ قالت: ما قال لك؟ قال: زعم أن محمداً يزعم أنه قاتلي، قالت: فوالله ما يكذب محمد.

قال: فلما خرجوا إلى بدر وجاء الصريخ قالت له امرأته: أما ذكرت ما قال لك أخوك اليثربي؟ قال: فأراد أن لا يخرج. فقال له أبو جهل: إنك من أشراف الوادي فسر معنا يوماً أو يومين فسار معهم فقتله الله.

وعن أنس قال: كنا مع عمر بين مكة والمدينة فتراءينا الهلال، وكنت حديد البصر فرأيته، فجعلت أقول لعمر: أما تراه؟ فقال: سأراه وأنا مستلق على فراشي. ثم أخذ يحدثنا عن أهل بدر، قال: إن كان رسول الله (ﷺ) ليرينا مصارعهم بالأمس، يقول هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله، وهذا مصرع فلان غداً إن شاء الله. قال: فجعلوا يصرعون عليها. قال: قلت والذي بعثك بالحق ما أخطأت رؤيتك، كانوا يصرعون عليها، ثم أمر بهم فطرحوا في بئر فانطلق إليهم فقال: يا فلان، يا فلان، هل وجدتم ما وعدكم الله حقاً فإني وجدت ما وعدني الله حقاً؟ فقال عمر: يا رسول الله أتكلم قوماً قد جَيَّفوا فقال: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكن لايستطيعون أن يجيبوا (انفرد بإخراجه مسلم).

ذكر طرف مما لاقى رسول الله (ﷺ) من أذى المشركين وهو صابر

كان أبو طالب يدافع عن رسول الله (ﷺ) فلما أتت لرسول الله (ﷺ) تسع وأربعون سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يوماً مات عمه أبو طالب للنصف من شوال في السنة العاشرة من المبعث، وهو ابن بضع وثمانين سنة، وتوفيت بعده خديجة بشهر وخمسة أيام، ويقال بثلاثة أيام فحسب، وهي ابنة خمس وستين سنة، وكانت قريش تكفُّ بعض أذاها عن رسول الله(ﷺ) حتى مات أبو طالب، فلما مات بالغوا في أذاه، فلما ماتت خديجة أقام بعدها ثلاثة أشهر، ثم خرج هو وزيد بن حارثة إلى الطائف فأقام بها شهراً ثم رجع إلى مكة في جوار المطعم بن عدي وما زال يلقى الشدائد.

وعن عبد الله قال: ما رأيت رسول الله (ﷺ) دعا على قريش غير يوم واحد، فإنه كان يصلي ورهط من قريش جلوس وسَلى جزورٍ قريبٌ منه، فقالوا من يأخذ هذا السّلى

فيلقيه على ظهره؟ قال فقال عقبة بن أبي معيط؟ أنا. فأخذه فألقاه على ظهره. فلم يزل ساجداً حتى جاءت فاطمة صلوات الله عليها فأخذته عن ظهره، فقال رسول الله (ﷺ): اللهم عليك الملأ من قريش، اللهم عليك بعتبة بن ربيعة، اللهم عليك بشيبة بن ربيعة، اللهم عليك بأبي جهل بن هشام، اللهم عليك بعقبة ابن أبي مُعيط، اللهم عليك بأبي بن خلف أو أمية بن خلف.

قال عبد الله: فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر جميعاً ثم سحبوا إلى القليب غير أُبيّ أو أمية فإنه كان رجلاً ضخماً فتقطع. (أخرجاه في الصحيحين).

وعن عروة أن عائشة زوج النبي (ﷺ) حدثته أنها قالت للنبي (ﷺ): هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟ قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد

كُلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إنَّ الله قد سمع قول قومك لك وما ردّوا عليك، وقد بعث إليك مَلَك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال: يا محمد إن لك ما شئت أن أطبق عليهم الأخشبين فقال النبي (ﷺ): بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً (أخرجاه في الصحيحين).

وعنه قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله(ﷺ). قال: بينا رسول الله(ﷺ) بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله (ﷺ) ولوى ثوبه في عنقه فخنقه به خنقاً شديداً فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله (ﷺ) وقال:

﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾؟ (غافر: ٢٨)

فصل

فلما أتت لرسول الله (ﷺ) خمسون سنة وثلاثة أشهر قدم عليه جنُّ نصيبين فأسلموا. فلما أتت له إحدى وخمسون سنة وتسعة أشهر أسري به.

ذكر معراجه (ﷺ)

عن أنس بن مالك بن صعصعة حدثه النبي(ﷺ) حدثهم عن ليلة أسري به، قال:

بينا أنا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجعاً، إذ أتاني آتٍ فجعل يقول لصاحبه: الأوسط بين الثلاثة. قال: فأتاني وقعد.

قال: وسمعت قتادة يقول: فشق ما بين هذه إلى هذه.

قال قتادة: فقلت للجارود وهو إلى جنبي ما يعني به؟ قال: من ثغرة نحره إلى شعرته، وسمعته يقول من قصه إلى شعرته. قال فاستخرج قلبي، قال فأتيت بطست من ذهب مملوءة إيماناً وحكمة فغسل قلبي ثم حشي ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض، قال: فقال له الجارود: أهو البراق يا أبا حمزة؟ قال أنس: نعم يقع خطوه عند أقصى بصره.

قال: فحملت عليه فانطلق بي جبريل (عليه السلام) حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل أو قد أرسل إليه؟ قال نعم قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء، ففتح فلما خلصت فإذا فيها آدم فقال: هذا أبوك آدم فسلّم علي فسلمت عليه فرد السلام ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح.

ثم صَعِدَ حتى أتى بي السماء الثانية فاستفتح فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل:

Scanned by CamScanner

أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء
قال: ففتح، فلما خلصت إذا يحيى وعيسى وهما ابنا خالة -
قال: هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما، قال: فسلمت، فردّا
السلام ثم قالا مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح.

ثم صعد بي حتى إلى السماء الثالثة فاستفتح فقيل: من
هذا؟ قال: جبريل- قيل: ومن معك؟ قال: محمد - قيل:
أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم- قيل: مرحباً ونعم المجيء جاء.
قال: ففتح، فلما خلصت إذا يوسف، قال: هذا يوسف فسلم
عليه، قال فسلمت عليه فرد السلام ثم قال: مرحباً بالأخ
الصالح والنبي الصالح.

ثم صعد بي حتى إلى السماء الرابعة فاستفتح فقيل:
من هذا؟ قال: جبريل- قيل: ومن معك؟ قال: محمد- قيل:
أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم- قيل: مرحباً ونعم المجيء جاء،
قال: ففتح، فلما خلصت إذا إدريس قال: هذا إدريس فسلم

عليه، قال: فسلمت عليه فرد السلام ثم قـال: مرحبـاً بـالأخ الصالح والنبي الصالح.

قال: ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح - قيل: من هذا؟ قال جبريل- قيل: ومن معك؟ قال: محمـد - قيل: أوقد أرسل إليه؟ قال نعم- قيل: مرحباً به ونعم المجـيء جاء، قال ففتح، فلما خلصت قال: فإذا أنا بهارون قال: هذا هارون فسلم عليه قال: فسلمت عليه فـرد السـلام ثـم قـال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح.

قال: ثم صعد حتـى أتـى السـماء السادسـة فاسـتفتح فقيل: من هذا؟ قال جبريل - قيل: ومن معك؟ قـال: محمـد - قيل: أوقد أرسل إليه؟ قال نعـم - قيـل مرحبـاً بـه ونعـم المجيء جاء، قال ففتح، فلما خلصت قال: فإذا أنـا بموسـى - قال: هذا موسى فسلم عليه فسـلمت عليـه فـرد السـلام ثـم

قال:مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح قال: فلما تجاوزت بكى فقيل: وما يبكيك؟ قال أبكي لأن غلاماً بعث بعدي، يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي.

قال: ثم صعد بي حتى أتى السماء السابعة فاستفتح- قيل: من هذا؟ قال جبريل- قيل: ومن معك؟ قال: محمد- قيل: أوقد أرسل إليه؟ قال نعم- قيل: مرحباً به ونعم المجيء جاء. قال: ففتح، فلما خلصت فإذا إبراهيم قال: هذا إبراهيم فسلم عليه. قال: فسلمت عليه فرد السلام ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح.

ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر، وإذا أوراقها مثل آذان الفيلة. قال: هذه سدرة المنتهى. قال، فإذا أربعة أنهار، نهران باطنان ونهران ظاهران. قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران

فالنيل والفرات. قال: ثم رفع إلى البيت المعمور.

قال قتادة وحدثنا الحسن عن أبي هريرة عن الـنبي (ﷺ) أنه أُري البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملـك ثـم لا يعودون فيه.

ثم رجع إلى حديث أنس، قال: ثم أُتيت بإناء من خمـر، وإناء من لبن، وإناء من عسل، قال: فأخذت اللبن. قال: هذه الفطرة أنت عليها وأمتك. قـال: ثـم فرضـت علـي الصـلاة خمسين صلاة كل يوم. قال: فرجعـت فمـررت علـي موسـى فقال: بمَ أمرت؟ قلت: أمرت بخمسين صلاة كل يـوم. قـال: إن أمّتك لا تستطيع خمسين صلاة، وإنـي قـد خـبرت النـاس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك عـز وجل وسله التخفيف لأمتـك. قـال: فرجعـت فوضـع عـني

عشراً، فرجعت إلى موسى فقال: بم أمرت؟ قلت: بأربعين صلاة كل يوم، قال إن أمتك لا تستطيع أربعين صلاة كل يوم وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك. قال: فرجعت فوضع عني عشراً أخر، فرجعت إلى موسى فقال: بم أمرت؟ قلت: أمرت بثلاثين صلاة كل يوم. قال: إن أمتك لا تستطيع ثلاثين صلاة كل يوم وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك. قال: فرجعت فوضع عني عشراً أخر فرجعت إلى موسى فقال: بمَ أمرت؟ قلت: أمرت بعشرين صلاة كل يوم. قال: إن أمتك لا تستطيع عشرين صلاة كل يوم فإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد

المعالجة فارجع إلى ربك عز وجل فاسأله التخفيف لأمتك. قال: فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم. فرجعت إلى موسى فقال: بم أمرت؟ قلت: بعشر صلوات كل يوم قال: إن أمتك لا تستطيع عشر صلوات كل يوم وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك عز وجل فاسأله التخفيف لأمتك. قال: فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم. قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم وإني خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك. قال قلت: قد سألت ربي حتى استحييت ولكني أرضى وأسلم. فلما نفذت ناداني منادٍ قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي (أخرجاه في الصحيحين).

ذكر أمر رسول الله (ﷺ) أصحابه بالهجرة إلى أرض الحبشة

لما أظهر رسول الله (ﷺ) الإسلام أظهر له المشركون العداوة فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأمر أصحابه بالخروج إلى أرض الحبشة وقال لهم: إنّ بها ملكاً لا يظلم الناس ببلاده فتحرزوا عنده حتى يأتيكم الله بفرج منه. فهاجر جماعة واستخفى آخرون بإسلامهم. وكان جملة من خرج إلى أرض الحبشة ثلاثةوثمانين رجلاً وإحدى عشرة امرأة قرشية وسبع غرائب.

فلما سمعوا بمهاجر رسول الله (ﷺ) إلى المدينة رجع منهم ثلاثة وثلاثون رجلاً وثماني نسوة. فمات منهم رجلان بمكة، وحبس منهم سبعة، وشهد منهم بدراً أربعة وعشرون.

فلما كانت سنة سبع من الهجرة كتب رسول الله (ﷺ)

إلى النجاشي يدعوه إلى الإسلام فأسلم وكتب إليه أن يزوجه بأم حبيبة وأن يبعث إليه من بقي من أصحابه ففعل. فقدموا المدينة فوجدوا رسول الله (ﷺ) قد فتح خيبر.

ذكر مقدار إقامة رسول الله (ﷺ) بمكة بعد النبوة

اختلفوا في ذلك فروى ربيعة عن أنس، وأبو سلمة عن ابن عباس: أنه أقام عشر سنين. وهو قول عائشة وسعيد بن المسيِّب. وروي عن ابن عباس أنه أقام خمس عشرة سنة.

والصحيح ما أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث ابن عباس: أن النبي (ﷺ) أقام بمكة ثلاث عشرة سنة. ويحمل قول من قال عشر سنين على مدة إظهار النبوة؛ فإنه لما بعث استخفى ثلاث سنين، ويحمل قول من قال خمس عشرة سنة على مبدأ ما كان يرى قبل النبوة من أعلامها(ﷺ).

ذكر عرض رسول الله (ﷺ) نفسه بالموقف على الناس لينصروه

عن جابر بن عبد الله قال: كان النبي (ﷺ) يعرض نفسه بالموقف ويقول: ألا رجل يحملني إلى قومه فإن قريشاً منعوني أن أبلغ كلام ربي (رواه الترمذي).

وعنه قال: مكث رسول الله (ﷺ) بمكة عشر سنين يتتبع الناس في منازلهم بعكاظ ومجنة وفي المواسم بمنى، يقول: من يؤويني؟ من ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة؟ حتى إن الرجل ليخرج من اليمن أو من مصر- كذا قال- فيأتيه قومه فيقولون: احذر غلام قريش لا يفتنك، ويمشي بين رحالهم وهم يشيرون إليه بالأصابع حتى بعثنا الله له من يثرب فآويناه ونصرناه وصدقناه، فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويقرئه القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه، حتى لم

يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام. ثم ائتمروا جميعاً، فقلنا: حتى متى نترك رسول الله(ﷺ) يطرد في جبال مكة ويخاف؟ فرحل إليه منا سبعون رجلاً حتى قدموا عليه في المواسم فواعدناه شعب العقبة واجتمعنا عندها من رجل ورجلين حتى توافقنا فقلنا: يا رسول الله علام نبايعك، قال: "بايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل والنفقة في العسر واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن تتقوا فيَّ الله، ولا تخافوا في الله لومة لائم، وعلى أن تنصروني وتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة".

قال: فقمنا إليه فبايعناه وأخذ بيده أسعد بن زُرارة وهو

من أصغرهم وقال رويداً يا أهل يثرب، فإنا لم نضرب أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله، وإن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة وقتل خياركم وأن تعضّكم السيوف، فإما أنتم قوم تصبرون على ذلك وأجركم على الله، وإما أنتم قوم تخافون من أنفسكم جبينة فبينوا ذلك فهو أعذر لكم عند الله. قالوا: أمط عنا يا أسعد فوالله ما ندع هذه البيعة أبداً ولا نسلبها أبداً. قال: فقمنا إليه فبايعناه فأخذ علينا وشرط، ويعطينا على ذلك الجنة.

ذكر العقبة وكيف جرى؟

قال ابن إسحق: لما أراد الله تعالى إظهار دينه وإعزاز نبيه وإنجاز موعده خرج رسول الله (ﷺ) في الموسم الذي لقيه في النفر من الأنصار فعرض نفسه على قبائل العرب كما

كان يصنع في كل موسم، فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج فذكروا أنه قال لهم: ممن أنتم؟ قالوا له: من الخزرج. قال أفلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا بلى، فجلسوا معه فدعاهم إلى الله تعالى وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن، وقد كانوا يسمعون من اليهود أن نبياً مبعوثاً قد أظل زمانه، فقال بعضهم لبعض والله يا قوم إن هذا النبي الذي تعدكم به اليهود فلا يسبقنكم إليه.

فأجابوه وهم فيما يزعمون ستة: أسعد بن زُرارة، وعوف بن مالك وهو ابن عفراء، ورافع بن مالك بن العجلان، وقطبة بن عامر بن حديدة، وعقبة بن عامر بن نابي، وجابر بن عبد الله بن رئاب.

فلما انصرفوا إلى بلادهم وقد آمنوا ذكروا لقومهم رسول الله (ﷺ) ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم، فلم يبق دار من دور الأنصار إلاوفيها ذكر رسول الله (ﷺ)، حتى

إذا كان العام المقبل أتى الموسم اثنا عشر رجلاً من الأنصار فلقوا رسول الله(ﷺ) بالعقبة وهي العقبة الأولى، فبايعوه بيعة النساء قبل أن تفترض الحرب، وفيهم عبادة بن الصامت، قال عبادة: بايعنا رسول الله (ﷺ) ليلة العقبة الأولى على أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف، وذلك قبل أن تفترض الحرب فإن وفيتم بذلك فلكم الجنة وإن غشيتم شيئاً فأمركم إلى الله، إن شاء غفر وإن شاء عذب.

فلما انصرف القوم عن رسول الله (ﷺ) بعث معهم مصعب بن عمير إلى المدينة يفقه أهلها ويقرئهم القرآن، فنزل على أسعد بن زرارة، فكان يسمى بالمدينة المقرئ فلم يزل يدعو الناس إلى الإسلام حتى شاع الإسلام، ثم رجع

مصعب إلى مكة قبل بيعة العقبة الثانية.

قال كعب بن مالك: خرجنا في الحجة التي بايعنـا فيهـا رسول الله (ﷺ) بالعقبة مع مشركي قومنـا، فواعـدنا لرسـول الله(ﷺ) العقبة أواسط أيـام التشـريق، ونحـن سـبعون رجـلاً، ومعهم امرأتان فلما كانت الليلـة الـتي واعـدنا فيهـا رسـول الله(ﷺ) نمنا أول الليل مع قومنا فلما استثقل الناس من النـوم تسللنا من فراشنا تسلل القطـا حتـى اجتمعنـا بالعقبـة فأتانـا رسول الله (ﷺ) ومعه عمـه العبـاس لـيس معـه غـيره، فقـال العباس: يا معشر الخزرج. إن محمداً منا حيـث قـد علمـتم، وهو في منعة من قومه وبلاده وقـد أبـى إلا الانقطـاع إلـيكم فإن كنتم تخشون من أنفسكم خذلاناً فاتركوه في قومه فإنه في منعة من عشيرته وقومه. فقلنا: قد سمعنا ما قلت، تكلـم يـا

رسول الله، فتكلم رسـول الله (ﷺ) ودعـا إلى الله ورغـب إلى الإسلام وتلا القرآن فأجبناه بالإيمان به والتصـديق لـه وقلنـا له: يا رسول خذ لربك ولنفسك، قال: إني أبايعكم علـى أن تمنعوني مما منعتم منه أبنـاءكم ونسـاءكم. فاجابـه الـبراء بـن معرور فقال: نعم والذي بعثـك بـالحق ممـا نمنـع منـه أُزرنـا، فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أهل الحـروب وأهـل الحلقـة ورثناها كابراً عن كابر.

فعرض في الحـديث أبـو الهيـثم بـن التيهـان فقـال: يـا رسول الله إن بيننا وبـين أقـوام حبـالاً وإنـا قاطعوهـا، فهـل عسيت إن أظهـرك الله أن ترجـع إلى قومـك وتـدعنا؟ فقـال رسول الله: بل الدم الدم والهدم الهَدم أنا مـنكم وأنـتم مـني، أسالم من سالمتم وأحارب من حـاربتم. فقـال لـه الـبراء بـن معرور: ابسط يدك يا رسـول الله نبايعـك. فقـال رسـول الله

(ﷺ) أخرجوا إليَّ منكم اثني عشر نقيباً فأخرجوهم وهم: أسعد بن زرارة وعبد الله بن عمرو بن حزام، وسعد بن عبادة، والمنذر بن عمرو، ورافع بن مالك بن العجلان. وعبد الله بن رواحة، وسعد بن الربيع وعبادة بن الصامت، وأسيد بن حضير، وأبو الهيثم بن التيهان، وسعد بن خيثمة.

فأخذ البراء بن معرور بيد رسول الله (ﷺ) فضرب عليها فكان أول من بايع وتتابع الناس فبايعوا.

قال ابن إسحق: فلما أيقنت قريش أن رسول الله (ﷺ) قد بويع وأمر أصحابه أن يلحقوا بالمدينة، تـوامروا بينهم فقالوا: والله لكأنه قد كرّ عليكم بالرجال فأثبتوه أو اقتلوه أو أخرجوه، فاجتمعوا على قتله، وأتاه جبريل وأمره أن لا يبيت في مكانه الذي يبيت فيه، فبات في غيره فلما أصبح أذن له في الخروج إلى المدينة.

وعن ابن عباس في قوله﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ ﴾ (الأنفال: ٣٠) قال: تشاورت قريش ليلة بمكة فقال بعضهم: إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق، يريدون النبي (ﷺ) وقال بعضهم: بل اقتلوه، وقال بعضهم بل أخرجوه، فأطلع الله نبيه(ﷺ) على ذلك فبات عليٌّ عليه السلام على فراش النبي(ﷺ) تلك الليلة، وخرج النبي (ﷺ) حتى لحق بالغار، وبات المشركون يحرسون علياً يحسبونه النبي (ﷺ). فلما أصبحوا ثاروا إليه فلما رأوا علياً ردّ الله مكرهم فقالوا: أين صاحبك؟ قال: لا أدري. فاقتصوا أثره.

ذكر هجرة رسول الله (ﷺ) إلى المدينة

كانت بيعة العقبة في أوسط أيام التشريق وقدم رسول الله(ﷺ) المدينة لاثنتي ليلة خلت من ربيع الأول.

قال يزيد بن أبي حبيب: خرج رسول الله (ﷺ) من مكة في صفر وقدم المدينة في ربيع الأول. قال ابن إسحق: دخلها حين ارتفع الضحى وكادت الشمس تعتدل.

عن عائشة زوج النبي (ﷺ) قالت: لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله(ﷺ) طرفي النهار بكرة وعشية، فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدَّغنة هو سيد القارة فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي. قال ابن الدِّغنة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يَخرج

ولا يُخرج، أنت تُكسِبُ المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكلَّ، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. فلم تكذّب قريش بجوار ابن الدغنة وقالوا لابن الدغنة: مر أبا بكر فليعبد ربه في داره فليصلِّ فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلنُ به فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا. فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر، فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره.

ثم بدا لأبي بكر فبنى مسجداً بفناء داره وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فيتقصف عليه نساء المشركين وأبناؤهم وهم يعجبون منه وينظرون إليه.

وكان أبو بكر رجلاً بكّاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن. فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على

أن يعبد ربه في داره فقد جاوز ذلك فبنى مسجداً بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا، فانهه فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل، وإن أبى إلا أن يعلن بذلك فاسأله أن يرد إليك ذمتك، فإنا قد كرهنا أن نخفرك ولسنا مقرين لأبي بكر الاستعلان.

قالت عائشة: فأتى ابن الدَّغنة إلى أبي بكر فقال: قد علمت الذي عاقدتُ لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك وإما أن ترجع إليَّ ذمتي فإني لا أحب أن تسمع العرب إني أخفرت في رجل عقدت له، فقال أبو بكر: فإني أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله، والنبي (ﷺ) يومئذ بمكة فقال النبي(ﷺ) للمسلمين: إني أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين- وهما الحرتان- فهاجر من هاجر قِبَل المدينة ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة وتجهز أبو بكر

قِبَل المدينة فقال له رسول الله: على رسلك فإني أرجو أن يؤذن لي. فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال نعم. فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله (ﷺ) ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السَّمر وهو الخبط أربعة أشهر.

قال ابن شهاب، قال عروة، قالت عائشة: فبينما نحن جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله متقنعاً في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فداء له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر.

قالت: فجاء رسول الله فاستأذن فأذن له فدخل فقال رسول الله (ﷺ) لأبي بكر: أخرج من عندك. فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبي أنت وأمي يا رسول الله، قال: فإني قد

أذن لي في الخروج. فقال أبو بكر: الصحبة بأبي أنت يا رسول الله. قال رسول الله نعم. قال أبو بكر: فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين، قال رسول الله(ﷺ) بالثمن.

قالت عائشة: فجهزناهما أحث الجهاز وصنعنا لهما سفرة في جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاقين، قالت ثم لحق رسول الله وأبو بكر بغار في جبل ثور فمكثا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش كبائت فلا يسمع أمراً يكادان به إلا وعاه، حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى لأبي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل، وهو لبن منحتهما

حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بغلس يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث واستأجر رسول الله (ﷺ) وأبو بكر رجلاً من بني الدّيل وهو من بني عبد بن عدي هادياً خِرّيتاً- والخريت: الماهر بالهداية- قد غمس حلفاً في آل العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفار قريش فأمناه، فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صُبحَ ثلاث، وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذ بهم على طريق السواحل.

قال ابن شهاب وأخبرني عبد الرحمن بن مالك المدلجي، وهو ابن أخي سراقة ابن جعشم، أن أباه أخبره أنه سمع سراقة بن جعشم يقول: جاءنا رسول كفار قريش يجعلون في رسول الله (ﷺ) وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال: يا

سـراقة إنـي قـد رأيـت آنفـاً أسـودة بالسـاحل أراهـا محمـداً وأصحابه قال سراقة: فعرفت أنهم هم، فقلـت إنهـم ليسـوا بهم ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقـوا بأعيننـا ثـم لبثـت في المجلس ساعة ثـم قمـت فـدخلت فـأمرت جـاريتي أن تخـرج بفرسي من وراء أكمة فتحبسها علي وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت فخططت بزُجّـه الأرض وخفضـت عاليـهُ حتى أتيت فرسي فركبتها فرفعتهـا تقـرب بـي حتـى دنـوت منهم فعثرت بـي فخـررت عنهـا فقمـت فأهويـت يـدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزلام فاستقسمت بهـا أضـرُّهـم أم لا فخرج الذي أكره فركبت فرسي، وعصيت الأزلام، تقرب بي حتى إذا سمعـت قـراءة رسـول الله (ﷺ) وهـو لا يلتفـت وأبو بكر كثير الالتفات ساخت يدا فرسـي في الأرض حتـى بلغتا الركبتين فخررت عنها ثم زجرتهـا فنهضـت فلـم تكـد

تخرج يديها. فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها غبار ساطع في السماء مثل الدخان، فاستقسمت بالأزلام فخرج الذي أكره فناديتهم بالأمان فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله (ﷺ) فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع، فلم يرزآني ولم يسألاني إلا أن قال: أخف عنا. فسألته أن يكتب لي كتاب أمن، فأمر عامر بن فهيرة فكتب لي في رقعة من أديم ثم مضى رسول الله (ﷺ).

قال ابن شهاب فأخبرني عروة بن الزبير أن رسول الله(ﷺ) لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام فكسا الزبير رسول الله (ﷺ) وأبا بكر ثياب بياض. وسمع المسلمون بالمدينة وخرج رسول الله (ﷺ) من مكة

فكانوا يغدون كل غداة إلى الحَرّة فينتظرونه حتى يـردهم حـرّ الظهيرة فانقلبوا يوماً بعـدما أطـالوا انتظـارهم فلمـا أووا إلى بيوتهم أوفى رجل من اليهود على أطـم مـن آطـامهم لأمـر ينظر إليه، فبصر برسول الله(ﷺ) وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: يـا معشـر العرب هذا جدُّكم الذي تنتظرونه فثار المسلمون إلى السـلاح فتلقوا رسول الله(ﷺ) بظهـر الحـرّة، فعـدل بهـم ذات الـيمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الاثنين مـن شهر ربيع الأول فقام أبـو بكـر للنـاس، وجلـس رسـول الله (ﷺ) صامتاً، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسـول الله (ﷺ) يحيي أبا بكر حتـى أصـابت الشـمس رسـول الله (ﷺ)، فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه، فعـرف النـاس رسـول الله(ﷺ) عند ذلك فلبث رسول الله في بـني عمـرو بـن عـوف

بضع عشرة ليلة، وأسس المسجد الذي أسس على التقوى، وصلى فيه رسول الله (ﷺ)، ثم ركب راحلته فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول بالمدينة وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين، وكان مربداً للتمر لسهيل وسهل، غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة، فقال رسول الله حين بركت به راحلته: هذا إن شاء الله المنزل. ثم دعا رسول الله (ﷺ) الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجداً فقالا بل نهبه لك يا رسول الله فأبى رسول الله(ﷺ) أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما ثم بناه مسجداً، وطفق رسول الله ينقل معهم اللَّبن في بنيانه ويقول:

هذا الحمالُ لا حِمالَ خيبر ... هذا أبرُّ ربنا وأطهر

ويقول:

اللهم إنَّ الأجر أجرُ ... فاغفر للأنصار والمهاجرة

فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لي.

قال ابـن شـهاب: ولم يبلغنـا في الأحاديـث أن رسـول الله(ﷺ) تمثل ببيت شعرٍ تام غير هذه الأبيات. انفرد بإخراجه البخاري.

وعن البراء بن عازب قال: اشترى أبو بكر من عـازب سرجاً بثلاثة عشر درهمـاً قـال: فقـال أبـو بكـر: مـر الـبراء فليحمله إلى منزلي فقال: لا، حتى تحدثنا كيف صنعت حـين خرج رسول الله (ﷺ) وأنت معه. قال فقال أبو بكر: خرجنـا فأدلجنا فاجتثثنا يومنا وليلنا حتى أظهرنا وقـام قـائم الظهـيرة فضربت ببصري هل نرى ظلاً نـأوي إليـه فـإذا أنـا بصـخرة فأويت إليها فإذا بقية ظلها فسويته لرسول الله (ﷺ) وفرشـت له فـروة وقلـت: اضـجع يـا رسـول الله (ﷺ)، فاضـجع ثـم خرجت أنظر هل أرى أحداً من الطلب فإذا أنا براعـي غـنم فقلت: لمن أنت يا غـلام؟ فقـال لرجـل مـن قـريش، فسـماه

فعرفته فقلت: هل في غنمك من لبن؟ قال نعم. قال قلت: هل أنت حالب لي؟ قال: نعم، فأمرته فاعتقل شاة منها ثم أمرته فنفض ضرعها من الغبار، ثم أمرته فنفض كفيه من الغبار ومعي إداوة على فمها خرقة، فحلب لي كثبة من اللبن فصببت على القدح حتى برد أسفله، ثم أتيت رسول الله فوافيته وقد استيقظ. فقلت: اشرب يا رسول الله فشرب حتى رضيت، ثم قلت: هل أنى الرحيل فارتحلنا والقوم يطلبوننا فلم يدركنا أحد منهم إلا سراقة بن مالك بن جعشم على فرس له فقلت: يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا فقال: ((لا تحزن إن الله معنا)) حتى إذا دنا منا وكان بيننا وبينه قيد رمح أو رمحين أو ثلاثة قلت: يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا وبكيت فقال: لماذا تبكي؟ قال قلت: أما والله ما على نفسي أبكي ولكني أبكي عليك، قال فدعا عليه رسول الله (ﷺ) فقال: اللهم اكفناه بما شئت فساخت قوائم فرسه إلى

بطنها في أرض صلد ووثب عنها وقال: يا محمـد قـد علمـت أن هذا عملك فادع الله عزوجل أن ينجيني مما أنا فيـه، فـوالله لأعمين على من ورائي من الطلب، وهذه كنانتي فخـذ منهـا سهماً فإنك ستمر بإبلي وغنمي في موضـع كـذا وكـذا فخـذ منها حاجتك فقال رسول الله (ﷺ): لا حاجة لـي فيهـا. قـال ودعا له رسول الله (ﷺ)، فأطلق ورجع إلى أصحابه. ومضـى رسول الله (ﷺ) وأنا معـه حتـى قـدمنا المدينـة فتلقـاه النـاس فخرجوا في الطرق وعلى الأناجير واشتد الخدم والصبيان في الطريق: الله أكبر جاء رسول الله (ﷺ) جاء محمد، قال وتنازع القوم أيهم ينزل عليـه، قـال: فقـال رسـول الله (ﷺ) ((أنـزل الليلة على بني النجار أخوال عبد المطلب لأكرمهم بـذلك)). فلما أصبح غدا حيث أمر.

قال البراء بن عازب: أول من قدم علينا ابن أم مكتـوم الأعمى أخو بني فهر، ثـم قـدم علينـا عمـر بـن الخطـاب في

عشرين راكباً، فقلنا: ما فعل رسول الله ؟ قال: هو على أثري. ثم قدم رسول الله ومعه أبو بكر. قال البراء: ولم يقدم رسول الله حتى قرأت سوراً من المفصل- أخرجاه في الصحيحين.

وعن أنس أن أبا بكر حدثه قال: قلت لرسول الله ونحن في الغار: لو أن أحدهم نظر إلى تحت قدميه لأبصرنا تحت قدميه. فقال: أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟ - أخرجاه في الصحيحين.

حديث أم معبد

عن أبي معبد الخزاعي أن رسول الله(ﷺ) لما هاجر من مكة إلى المدينة هو وأبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر ودليلهم عبد الله بن أُرَيْقِط الليثي فمروا بخيمتي أم معبد الخزاعية، وكانت امرأة جلدة برزة تحتبي وتقعد بفناء الخيمة

تسقي وتطعم، فسألوها تمراً ولحماً يشترون، فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك فإذا القوم مرملون مسنتون فقالت: والله لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى. فنظر رسول الله (ﷺ) إلى شاة في كسر الخيمة فقال: ما هذه الشاة يا أم معبد قالت: هذه شاة خلّفها الجهد عن الغنم فقال: هل بها من لبن؟ قالت: هي أجهد من ذلك. قال: أتأذنين لي أن أحلبها؟ قالت: نعم بأبي أنت وأمي إن رأيت بها حلباً. فدعا رسول الله (ﷺ) بالشاة فمسح ضرعها وذكر اسم الله وقال: اللهم بارك لها في شاتها. قال فتفاجت ودرت واجترت فدعا بإناء لها يُربض الرهط فحلب فيه ثجّاً حتى غلبه الثمال فسقاها فشربت حتى رويت وسقى أصحابه حتى رووا وشرب رسول الله (ﷺ) آخرهم وقال: ساقي القوم آخرهم شرباً، فشربوا جميعاً عللاً بعد نهل حتى أراضوا ثم حلب فيه ثانياً عوداً على بدء فغادره عندها حتى ارتحلوا عنها فقلما لبثت

حتى جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزاً حيلاً عجافاً هزلى ما تساوق مُخهن قليل لا نقى بهن، فلما رأى اللبن عجب فقال: من أين لك هذا والشاة عازبة ولا حلوبة في البيت؟ قالت: لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت. قال: والله إني لأراه صاحب قريش الذي يطلب، صفيه لي يا أم معبد؟ قالت رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة متبلج الوجه، حسن الخلق لم تعبه ثجلة، ولم تزر به صعلة، وسيم، قسيم، في عينيه دعج، وفي أشفاره وطف، وفي صوته صحل، أحور أكحل، أزجّ أقرن، شديد سواد الشعر، في عنقه سطع، وفي لحيته كثاثة، إذا صمت فعليه الوقار، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء، وكأن منطقه خرزات عقد يتحدرن، حلو المنطق فصل، لا نزر ولا هذر، أجهر الناس وأجملهم من بعيد، وأحلاهم وأحسنهم من قريب، ربعة لا تشنؤه من طول، ولا تقحمه عين من قصر، غصن بين غصنين، فهو

أنظر الثلاثة منظراً وأحسنهم قدراً له رفقاء يحفّون به إذا قـال استمعوا لقولـه وإن أمـر تبـادروا إلى أمـره محفـود محشـود لا عابس ولا مفند.

قال هذا والله صاحب قريش الذي ذُكر لنا من أمره ما ذكر ولـو كنـت وافقتـه لالتمسـت أن أصـحبه ولأفعلـن إن وجدت إلى ذلك سبيلا.

قال عبد الملك بن مروان: فبلغنا أن أم معبـد هـاجرت إلى النبي(ﷺ) وأسلمت.

تفسير غريب الحديث

البرزة: الكبيرة، والمرملون الذين نفد زادهم، ومستنون مـن السنة وهـي الجـدب، وكسـر الخيمـة: جانبهـا، والجَهـد المشـقة، وتفاجـت: فتحـت مـا بـين رجليهـا للحلـب-

ويربض الرهط: يثقلهم فيربضوا والثج: السيلان، والثمال: الرغوة، وقوله عللاً بعد نهل، أي مرة بعد أخرى، حتى أراضوا: أي رووا، والحيل: اللواتي لسن بحوامل والنقى المخ، والشاة عازب: أي بعيدة في المرعى، متبلج الوجه مُشرقُهُ، والثجلة: عظيم البطن واسترخاء أسفله، والصعلة: صغر الرأس، والوسيم الحسن، وكذلك القسم، والدعج السواد في العين، والوطف: الطول في هدب العين، والصّحل كالبحة، والأحور: الشديد سواد أصول أهداب العين خلقة، والأزج من الزجج وهو دقة الحاجبين وحسنهما، والأقرن: المقرون الحواجب، والسطع: الطول، وقولها إذا تكلم سما، تريد علا رأسه أو يده، وقولها: لا نزر ولا هذر تريد أنه ليس بقليل ولا كثير، وقولها لا تقتحمه عين

من قصر أي لا تحتقره، والمحفود: المخدوم، والمحشـود مـن قولك احتشدت لفلان في كذا إذا أعـددت لـه وجمعـت- وقولها: ليس بعـابس الوجـه ولا فيـه أثـر هـرم، والفنـد الهرم، والصريح الخالص، والضرّة لحم الضرع.

ذكر ما جرى لرسول الله حين قدم المدينة

قال الزهري: نزل رسول الله في بني عمـرو بـن عـوف بقباء، فأقام فيهم بضع عشرة ليلة وقال عـروة: مكـث بقبـاء ثلاث ليال، ثم ركب يوم الجمعة فمر على بـني سـالم فجمـع بهم، وكانت أول جمعة صلاها حين قدم المدينة. ثم ركـب في بني سالم فمرت الناقة حتى بركت في بني النجار على دار أبـي أيوب الأنصاري فنزل عليه في سفل داره وكان أبو أيـوب في العلو حتى ابتنى رسول الله (ﷺ) مسجداً ومساكنه.

عن عائشة قالت: قدم النبي المدينة وهي وبيئة فمرض أبو بكر فكان إذا أخذته الحمى يقول:

كل امرئ مصبح في رحله والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال إذا أخذته الحمى يقول:

إلا ليت شعري هل أبيتن ليلة بوادٍ وحولي إذخِرٌ وجليل؟

وهل أرِدن يوماً مياه مجنَّة وهل يبدون لي شامةٌ وطفيل؟

اللهم العن شيبة بن ربيعة، وأمية بن خلف كما أخرجونا من مكة. فلما رأى رسول الله ما لقوا قال: اللهم حبّب إلينا المدينة كحُبّنا مكة أو أشد، اللهم صحّحها وبارك لنا في صاعها ومدها وانقل حماها إلى الجحفة، قالت فكان المولود يولد بالجحفة فما يبلغ الحلم حتى تصرعه الحمى- أخرجاه في الصحيحين.

ذكر عمومة رسول الله (ﷺ)

قال ابن السائب: هم أحد عشر: الحارث والزبير وأبـو طالب وحمزة وأبو لهب والغيداق والمقـوّم وضـرار والعبـاس وقثم وجحل، واسم جحل المغيرة. وقال غيره هم عشـرة ولم يذكر قثم، وقال اسم الغيداق جحل.

ذكر عماته (ﷺ)

وهن سـتّ: أم حكـيم وهـي البيضـاء، وبـرّة وعاتكـة وصفية وأروى وأميمة، فأما صفية فأسلمت من غير خلاف، وأما عاتكة وأروى فقال محمد بن سعيد: أسلمتا وهاجرتا إلى المدينة، وقال آخرون: لم تسلم منهن إلا صفية.

ذكر أزواج النبي (ﷺ)

خديجة بيت خويلد، سودة بنت زمعة، عائشة بنت أبـي بكر، حفصة بنت عمر، أم سلمة واسمها هند بنت أبي أميـة، أم حبيبة واسمها رملة بنت أبي سفيان، زينـب بنـت جحـش

أمها أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله (ﷺ)، زينب بنت خُزيمة ابن الحارث بن أبي ضرار، صفية بنت حُيي بن أخطب، ميمونة بنت الحارث بن حزن.

وقد تزوج رسول الله جماعة من النساء فلم يدخل بهنَّ وخطب جماعة فلم يتم النكاح، ويقال: إن أم شريك وهبت نفسها للنبي (ﷺ).

ذكر سراري رسول الله (ﷺ)

مارية القبطية بعث بها إليه المقوقس، ريحانة بنت زيد، ويقال إنه تزوجها وقال الزهري: استسرّها ثم اعتقها فلحقت بأهلها، وقال أبو عبيدة: كان له أربع: مارية، وريحانة، وأخرى جميلة أصابها في السبي، وجارية وهبتها له زينب بنت جحش.

ذكر أولاده (ﷺ)

أما الذكور فالقاسم: وبه كان يكنى (ﷺ)، وهو أول من مات من أولاده وعاش سنتين.

عبد الله: وهو الطاهر والطيب، ولد له في الاسلام.

وقال عروة: ولدت له خديجة: القاسم والطـاهر وعبـد الله والمطيَّب.

وقال سعيد بـن عبـد العزيـز: كـان للـنبي (ﷺ) أربعـة غلمة: إبراهيم، والقاسم، والطاهر، والمطهر.

قال أبو بكر البرقي: ويقال إن الطاهر هو الطيب وهـو عبد الله ويقال إن الطيب والمطيَّـب ولـدا في بطـن، والطـاهر والمطهر ولدا في بطن.

إبراهيم: أمه ماريـة القبطيـة، ولـد في ذي الحجـة سـنة

ثمان من الهجرة وتوفي ابن ستة عشر شهراً، وقيل ثمانية عشر شهراً ودُفِن بالبقيع.

الإناث من أولاده (ﷺ)

فاطمة عليها السلام: ولدت قبل النبوة بخمس سنين، زينب: تزوجها أبو العاص بن الربيع، رقية وأم كلثوم تزوجهما عثمان بن عفان، تزوج أم كلثوم بعد رقية.

وجميع أولاده من خديجة رضي الله عنها سوى إبراهيم.

ذكر صفة رسول الله (ﷺ)

عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن أنه سمع أنس بن مالك ينعت رسول الله(ﷺ) فقال: كان رسول الله (ﷺ) ربعة من القوم ليس بالقصير ولا بالطويل البائن، أزهر ليس بالآدم ولا الأبيض الأمهق، رجل الشعر ليس بالسَّبط ولا الجعد

القطط بعث على رأس أربعين، أقام بمكة عشراً وبالمدينة عشراً وتوفي على رأس ستين ليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء، أخرجاه في الصحيحين.

وعنه قال: ما مسستُ حريراً ولا ديباجاً ألين من كف النبي(ﷺ)، ولا شممت ريحاً قط وعرفاً قط أطيب من ريح أو عرف النبي (ﷺ) (رواه البخاري).

وقال أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر: قلت للرُّبيع بنت معوذ صفي لي رسول الله (ﷺ) فقالت: لو رأيته لرأيت الشمس الطالعة.

قال إبراهيم بن محمد، من ولد علي بن أبي طالب، قال: كان علي رضي الله عنه إذا وصف رسول الله (ﷺ) يقول: لم يكن بالطويل الممغَّط ولا بالقصير المتردد، كان ربعة

من القوم، لم يكن بالجعد القطط ولا بالسَّبط كان جعداً رجلاً ولم يكن بالمطهَّم ولا بالمتَكلْثِم، وكان في وجهه تدوير، أبيض، مشرباً، أدعج العينين، أهدب الأشفار جليل المُشاش والكَتَد، أجرد، ذو مَسْرُبة، شثن الكفين والقدمين، إذا مشى تقلّع، كأنما ينحطّ من صَبَب، وإذا التفت التفتَ معاً، بين كتفيه خاتم النبوة وهو خاتم النبيين، أجود الناس صدراً؛ وأصدق الناس لهجة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشْرةً، من رآه بديهةً هابه، ومن خالطه معرفةً أحبه، يقول ناعته: لم أرَ قبله ولا بعده مثله(ﷺ) رواه الترمذي.

وقال: سمعت أبا جعفر محمد بن الحسين يقول: سمعت الأصمعي يقول: الممغط الذاهب طولاً، والمتردد: الداخل بعضه في بعض قصراً. وأما القطط: فشديد الجعودة والرَّجل الذي في شعره حُجونة أي تـثنٍّ قليل، والمطهم:

البادن الكثير اللحم، والمتكلثم: المدور الوجه، والمشرب الذي في بياضه حمرة، والأدعج: الشديد سواد العين، والأهدب: الطويل الأشفار، والكتد: مجتمع الكتفين وهو الكاهل، والمسربة الشعر الدقيق الذي كأنه قضيب من الصدر إلى السرة، والشَّثن: الغليظ الأصابع من الكفين والقدمين، والتقلّع: المشي بقوة، والصَّبب: الحُدور، تقول: انحدرنا في صبوب وصبب. وقوله: جليل المُشاش: يريد رؤوس المناكب، والعشرة: الصحبة، والعشير: الصاحب- والبديهة: المفاجأة.

وعن الحسن بن علي قال: سألت خالي هند بن أبي هالة، وكان وّصافاً، عن حلية النبي (ﷺ) وأنا أشتهي أن يصف لي منها شيئاً أتعلق به. فقال: كان رسول الله (ﷺ) فخماً، مفخماً، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع وأقصر من المشذَّب عظيم الهامة، رَجل الشّعر، إن

انفرقت عقيقته وفرق وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفرة، أزهر اللون، واسع الجبين، أزجّ الحواجب سوابغ في غير قرنٍ، بينهما عرق يُدرُّه الغضب، أقنى العرنين، له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشمّ، كث اللحية، سهلُ الخدين، ضليع الفم، مفلَّج الأسنان، دقيق المسرُبة، كأن عنقه جيد دُمية في صفاء الفضة، معتدل الخلق، بادن متماسك، سواءٌ البطن والصدر، عريض الصدر، بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكراديس، أنور المتجرَّد، موصول ما بين اللَّبَّة والسُرة بشعر يجري كالخيط، عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر، طويل الزندين رحب الراحة، شثن الكفين والقدمين، سابل الأطراف أو قال: سائل الأطراف- خمصان الأخمصين، مسيح القدمين، ينبو عنهما الماء، إذا زال قلعاً- يخطو تكفَياً ويمشي هوناً، ذريع المشية إذا مشى كأنما ينحط من صبب، وإذا التفت جميعاً،

خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جُـلُّ نظـره للملاحظـة، يسـوق أصـحابه، ويبـدر مـن لقيـه بالسلام.

قلت: فصِف لـي منطقـه، قـال: كـان رسـول الله (ﷺ) متواصـل الأحـزان دائـم الفكـرة ليسـت لـه راحـة، طويـل السَّـكت، لا يـتكلم في غـير حاجـة، يفتـتح الكـلام ويختمـه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلم فصلاً، لا فضول ولا تقصير، ليس بالجافي ولا المهين، يعظم النعمة وإن دّقت ولا يذم منهـا شيئاً غير أنه لم يكن يذم ذواقاً ولا يمدحه، ولا تغضـبه الـدنيا وما كان لها فإذا تعدّى الحقَّ لم يقم لغضبه شيء حتـى ينتصـر له، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لهـا، إذا أشـار أشـار بكفـه كلّها، وإذا تعجّـب قلبهـا، وإذا تحـدث اتصـل بهـا وضـرب براحته اليمنى بطـن إبهامهـا اليسـرى، وإذا غضـب أعـرض وأشاح، جُلَّ ضحكه التبسم.

قال الحسن: فكتمتُها الحسين زماناً ثم حدثته بها فوجدته قد سبقني إليه، فسأله عما سألته عنه، ووجدته قد سأل أباه عن مدخله ومخرجه وشكله فلم يدع منه شيئاً.

قال الحسين: سألت أبي عن دخول رسول الله (ﷺ)، فقال: كان رسول الله(ﷺ) إذا أوى إلى منزله جزّأ دخوله ثلاثة أجزاء: جزءاً لله وجزءاً لنفسه، وجزءاً لأهله، ثم جزّأه بينه وبين الناس، فيردّ ذلك بالخاصة على العامة ولا يدّخر عنهم منه شيئاً، وكان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل بإذنه وقسمه على قدر فضلهم في الدين، فمنهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذوو الحوائج، فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما أصلحهم والأمة من مسألته عنهم وإخبارهم بالذي ينبغي لهم، ويقول: ليبلّغ الشاهدُ منكم الغائب، وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبّت الله قدميه يوم

القيامة، لا يذكر عنده إلا ذلك ولا يقبل من أحد غيره، يدخلون روّداً ولا يفترقون إلا عن ذواق ويخرجون أدلة، يعني على الخير.

قال: فسألته عن مخرجه كيف كان يصنع فيه؟ قال: كان رسول الله (ﷺ) يخزُن لسانه إلا فيما يعنيه، ويؤلفهم ولا ينفّرهم، ويكرم كريم كل قومٍ ويوليه عليهم، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحدٍ منهم بشره ولا خلقه، ويتفقد أصحابه ويسأل الناس عما في أيدي الناس، ويحسن الحسن ويقويه ويقبح القبيح ويوهيه، معتدل الأمر غير مختلف لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يملوا، لكل حالٍ عنده عتاد، لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه، الذين يلونه من الناس خيارهم، أفضلهم عنده أعمّهم نصيحةً وأعظمهم عنده منزلة

أحسنُهم مواساة ومؤازرة.

قال: فسألته عن مجلسه، فقال: كان رسول الله (ﷺ) لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكرٍ، وكان إذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك ويعطي كل جلسائه نصيبهم لا يحسب جليسه أنَّ أحداً أكرمُ عليه ممن جالسه، ومن سأله حاجة لم يردّه إلا بها أو بميسور من القول، قد وسع الناس بسطُه وخُلقه فصار لهم أباً وصاروا عنده في الحق سواء، مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة، لا تُرفع فيه الأصوات ولا تؤبنُ فيه الحُرم يتعاطفون فيه بالتقوى متواضعين، يوقرون فيه الكبير، ويرحمون الصغير، ويؤثرون ذا الحاجة ويحفظون الغريب.

قلت: وكيف كانت سيرته في جلسائه؟ فقال كان

رسول الله (ﷺ) دائم البشر، سهل الخُلق، لـين الجانـب، لـيس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحّاش ولا عيّاب ولا مـدّاح يتغافل عما لا يشتهي، ولا يؤيس منه، ولا يخيب فيه مؤمليه، قد ترك نفسه من ثلاث: المراء والإكثار، وما لا يعنيه، وتـرك الناس من ثلاث: لا يذم أحداً ولا يعيبه، ولا يطلب عورتـه، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه وإذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، وإذا سكت تكلموا، لا يتنازعون عنـده الحديث، من تكلّم عنده أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم عنده حديث أوّلهـم، يضـحك ممـا يضـحكون منـه، ويتعجـب ممـا يتعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسـألته، حتى إن كان أصحابه ليستجلبونهم، ويقول: إذا رأيتم طالب حاجة يطلبها فارفدوه، ولا يقبل الثنـاء إلا مـن مكـافئ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز فيقطعه بنهي أو قيام (رواه

الترمذي).

وقد روى هذا الحديث أبو بكر بن الأنباري فـزاد فيـه: قال: فسألته عن سكوت رسول الله (ﷺ) فقـال: كـان سـكوته على أربع، على الحلـم، والحـذر، والتقـدير، والتفكـر، فأمـا التقدير ففي تسوية النظر والاستماع من الناس، وأمـا تفكـره ففيما يبقى ويفنى، وجمع له الحلم في الصبر، ولا يغضبه شيء ولا يستفزه، وجمع له الحذر في أربع: أخـذه بالحسـن ليقتـدى به، وتركه القبيح ليتنـاهى عنـه واجتهـاده الـرأي في إصـلاح أمته، والقيام لهم فيها جمع لهم من خير الدنيا والآخرة.

تفسير غريب هذا الحديث

الفَخم المفخَّم: هو العظيم المعظَّم في الصدور والعيون. والمشذَّب: الطويل الذي ليس بكثير اللحم، والرَّجِلُ الشعر: الذي في شعره تكسُّر، فإذا كان الشعر منبسطاً قيل: شعر سبط وسبط والعقيقة: الشعر المجتمع في الرأس، الأزهر اللون: النير. وأزجّ الحواجب: أي طويل امتدادهما لوفور الشعر فيهما وحسنه إلى الصدغين، فأما جمع الحواجب فله وجهان: أحدهما على مذهب من يُوقع الجمع على التثنية، والثاني: على أن كل قطعة من الحاجب تسمى حاجباً.

وقوله: **أقنى العرنين**: القنا أن يكون في عظم الأنف احديداب في وسطه، والعرنين: الأنف، والأشم: الذي عظم أنفه طويل إلى طرف الأنف، وضليع الفم: كبيره، والعرب تمدح بذلك وتهجو بصغره، والمسرُبة: قد فسرناها في الحديث قبله، والدُمية: الصورة وجمعها دُمى.

وقوله: بادن متماسك: أي تام خلق الأعضاء ليس بمسترخي اللحم ولا كثيره، وقوله: سواءٌ البطن والصدر، معناه: أن بطنه ضامر وصدره عريض فلهذا ساوى بطنه صدره. والكراديس: رؤوس العظام. وقوله: أنور المتجرد: أي نيّر الجسد إذا تجرد من الثياب، والنّير: الأبيض المشرق.

وقوله: خُمصان الأخمصين: معناه أن أخمص رجله شديد الارتفاع من الأرض، والأخمص: ما يرتفع من الأرض من وسط باطن الرجل. قوله: مسيح القدمين: أي ليس بكثير اللحم فيهما وعلى ظاهرهما فلذلك ينبو الماء عنهما، والتقلّع والصَّبب: قد فسرناهما في الحديث قبله.

وقوله: ذريع المشية: واسع المشية من غير أن يظهر منه استعجال. والمهين: الحقير. ويسوق أصحابه: يقدّمهم بين يديه ومن ورائه، يفوق: أراد يفضلهم ديناً وحلماً وكرماً. وقوله: لكل حال عنده عتاد: أي عدّة، يعني أنه قد أعدّ للأمور أشكالها. وقوله: يردّ بالخاصة على العامة: فيه

ثلاثة أوجه.

أحدها: أنه كان يعتمد على أن الخاصة ترفع علومه وإرادته إلى العامة.

والثاني: أن المعنى يجعل المجلس للعامة بعد الخاصة فتنوب الباء عن ((من)) و((على)) عن ((إلى)).

والثالث: فيردّ ذلك بدلاً من الخاصة على العامة فتفيد الباء معنى البدل.

والروّاد: جمع رائد وهو الذي يقدم القوم إلى المنزل يرتاد لهم الكلأ، وهو هنا مثل، والمعنى أنهم ينفعون بما يسمعون من وراءهم، والذّوَاق، ههنا: العلم يذوقون من حلاوته ما يذوقون من الطعام. وتُؤَبن فيه الحُرمُ أي تعاب. وقوله: لا يقبل الثناء إلا من مكافئ: أي من صح عنده إسلامه حسن موقع ثنائه عليه، ومن استشعر منه نفاقاً أو ضعفاً في دينه ألغى ثناءه ولم يحفل به. وارفدوه: بمعنى أعينوه.

ذكر حسن خلقه (ﷺ)

عن أبي عبد الله الجدلي قال: قلت لعائشة: كيف كان خُلق رسول الله (ﷺ) في أهله؟ قالت: كان أحسن الناس خُلقاً، لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا سخاباً في الأسواق ولا يجزي بالسيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح (رواه الإمام أحمد).

وعن أنس قال: خدمتُ رسول الله (ﷺ) عشر سنين فما قال لي أفٍ، ولا لِمَ صنعت، ولا ألا صنعت (رواه البخاري).

وعن سماك قال: قلت لجابر بن سمرة: أكنت تجالس رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، كان طويل الصمت قليل الضحك، وكان أصحابه يذكرون عنده الشعر وأشياء من أمورهم فيضحكون وربما تبسَّم- انفرد باخراجه مسلم-.

ذكر تواضعه (ﷺ)

عن عمر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله (ﷺ):

((لا تُطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا عبدُ الله ورسوله)) أخرجه البخاري.

وعن جابر قال: جاءني النبي (ﷺ) يعودني ليس براكبٍ بغلاً ولا برذوناً- انفرد بإخراجه البخاري.

وعن أنس قال: ((كانت الأمة من أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله (ﷺ) فتنطلق به في حاجتها، انفرد باخراجه البخاري وفي بعض ألفاظ الصحيح: ((فتنطلق به حيث شاءت)).

وعن الأسود، قال: قلت لعائشة: ما كان رسول الله(ﷺ) يصنع إذا دخل بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله فإذا حضرت الصلاة خرج فصلى انفرد بإخراجه البخاري.

وعن البراء، قال: رأيت النبي (ﷺ) يوم الأحزاب ينقل

التراب وقد وارى التراب بياض بطنه وهو يقول:

والله لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدَّقنا ولا صلَّينا

فأنزلن سكينةً علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

إن الألى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

أخرجاه في الصحيحين، وفي بعض الألفاظ:

والله لو لا الله ما اهتدينا

عن أنس بن مالك، قال: كان رسول الله (ﷺ) يعود المرضى ويشهد الجنازة ويأتي دعوة المملوك، ويركب الحمار، ولقد رأيته يوماً على حمار خطامه ليف.

وعن الحسن أنه ذكر رسول الله (ﷺ)، فقال: لا والله ما كانت تغلق دونه الأبواب ولا يقوم دونه الحُجَّاب، ولا يُغدى عليه بالجِفان، ولا يُراح عليه بها، ولكنه كان بارزاً، من أراد

أن يلقى نبيٌّ الله لقيه، وكان يجلس بالأرض ويوضع طعامه بالأرض، يلبس الغليظ، ويركب الحمار ويردف عبده، ويعلف دابته بيده (ﷺ).

ذكر حيائه (ﷺ)

عن أبي سعيد الخدري، قال: كان رسول الله(ﷺ) أشد حياءً من العذراء في خدرها، وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه. أخرجاه في الصحيحين.

وعن أنس بن مالك أن النبي (ﷺ) رأى على رجل صُفرة فكرهها وقال: ((لو أمرتم هذا أن يغسل هذه الصّفرة)). قال: وكان لا يواجه أحداً في وجهه بشيء يكرهه. رواه الإمام أحمد.

ذكر شفقته ومداراته (ﷺ)

عن أنس بن مالك أن نبي الله (ﷺ) قال: ((إني لأدخل الصلاة وأنا أريد أن أطيلها فأسمع بكاء الصبي فأتجوَّز في صلاتي مما أعلم من شدَّة وجد أمه من بكائه. أخرجاه في الصحيحين.

ذكر حلمه وصفحه (ﷺ)

عن أنس بن مالك، قال: كنت أمشي مع رسول الله(ﷺ) وعليه رداء نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عنق رسول الله وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته. ثم قال: يا محمد مُرْ لي من مال الله الذي عندك. فالتفت إليه رسول الله فضحك، ثم أمر له بعطاء- أخرجاه في الصحيحين.

وعن عبد الله، قال: لما كان يوم حنين آثر النبي (ﷺ)

أناساً في القسمة فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل وأعطى عُيينة مثل ذلك وأعطى أُناساً من أشراف العرب وآثرهم يؤمئذ في القسمة. فقال رجل: والله إن هذه لقسمةٌ ما عُدل فيها وما أريد بها وجه الله قال: فقلت: والله لأخبرن رسول الله(ﷺ) قال فأتيته فأخبرته بما قال، قال: فتغير وجهه حتى كان كالصرف ثم قال من يعدلُ إذا لم يعدل الله ورسوله ثم قال: رحم الله موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر- أخرجاه في الصحيحين.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء الطُّفيل بن عمرو الدَّوسي إلى النبي (ﷺ) فقال: إنّ دوساً قد عصت وأبت فادع الله عليهم، فاستقبل القبلة رسول الله ورفع يديه فقال: اللهم اهدِ دوساً وائتِ بهم، اللهم اهدِ دوساً وائت بهم اللهم اهدِ دوساً وائت بهم. أخرجاه في الصحيحين.

وعن عبد الله بن عمر أن عبد الله بن أبي لما توفي جاء

ابنه إلى النبي (ﷺ) فقال أعطني قميصك أكفنه فيه وصلّ عليه واستغفر له. فأعطاه قميصه وقال آذنّي أصلي عليه فآذنه. فلما أراد أن يصلي جذبه عمر فقال: أليس الله نهاك أن تصلي على المنافقين؟ فقال أنا بين خيَرين، قال: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ (التوبة: ٨٠). فصلّى عليه فنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ (سورة التوبة: ٨٤) أخرجاه في الصحيحين.

وعن عائشة، قالت: ما ضرب رسول (ﷺ) الله خادماً له قط، ولا امرأة له قط، وما ضرب بيده إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء فانتقمه من صاحبه إلا أن تنتهك محارم الله فينتقم لله عز وجل، وما عُرض عليه أمران أحدهما أيسر من الاخر إلا أخذ بأيسرهما، إلا أن يكون مأثماً، فإن كان مأثماً كان أبعد الناس منه- أخرجاه في الصحيحين.

ذكر مزاحه ومداعبته (ﷺ)

وعن أنس: أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهراً وكان يهدي للنبي (ﷺ) الهدية من البادية فيجهزه رسول الله إذا أراد أن يخرج. فقال رسول الله: ((إن زاهراً بادينا ونحن حاضروه)). وكان رسول الله (ﷺ) يحبه، وكان رجلاً دميماً،

فأتاه النبي (ﷺ) وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه ولا يبصره الرجل، فقال: أرسلني، من هذا؟ فالتفت فعرف النبي(ﷺ) فجعل لا يألو ما ألصق ظهره ببطن النبي (ﷺ) حين عرفه، وجعل النبي (ﷺ) يقول: من يشتري العبد؟ فقال: يا رسول الله إذاً والله تجدني كاسداً، فقال رسول الله (ﷺ): لكن عند الله عز وجل لست بكاسد، أو قال: لكن عند الله أنت غالٍ، رواه الإمام أحمد. قال لنا محمد بن أبي منصور، قال لنا

أبو زكريا: الدميم، بالدال المهملة في الخَلْق، وبالذال المعجمة، في الخُلُق.

وعن عائشة قالت: خرجت مع النبي (ﷺ) في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن، فقال للناس: تقدموا، ثم قال لي: تعالي حتى أسابقك. فسابقته فسبقته، فسكت عني حتى إذا حملت اللحم وبدنت نسيت، خرجت معه في بعض أسفاره فقال للناس: تقدموا، فتقدموا ثم قال لهم: تعالي حتى أسابقك فسابقته فسبقني، فجعل يضحك ويقول: هذه بتلك. رواه الإمام أحمد.

وعن أنس، أن النبي (ﷺ) دخل على أم سليم فرأى أبا عمير حزيناً فقال: يا أم سليم، ما بال عُمير حزيناً؟ قالت: يا رسول الله مات نُغيره. فقال رسول الله (ﷺ): ((يا أبا عُمير ما فعل النغير)) أخرجاه في الصحيحين.

ذكر كرمه وجوده (ﷺ)

عن ابن عباس، قال: كان رسول الله (ﷺ) أجود الناس، وكان أجود ما يكـون في رمضـان حـين يلقـاه جبريـل عليـه السلام، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القـرآن، فلرسول الله(ﷺ) أجود بالخير من الريح المرسلة- أخرجـاه في الصحيحين.

وعن أنس أن رسول الله (ﷺ) لم يكن يسأل شـيئاً علـى الإسلام إلا أعطاه. قال: فأتاه رجل فسأله فأمر له بشاءٍ كـثير بين جبلين من شاء الصدقة، قال فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء مـن لا يخشـى الفاقـة. انفـرد بإخراجه مسلم.

ذكر شجاعته (ﷺ)

عن أنس، قال: كان رسـول الله أحسـن النـاس وكـان

أجود الناس وكان أشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينـة ذات ليلة فانطلق ناس قِبَل الصوت فتلقاهم رسول الله راجعاً وقد سبقهم إلى الصوت وهو على فـرسٍ لأبـي طلحـة، عُـرْيٍ في عنقه السيف وهو يقول لم تُراعُوا لم تُراعُوا. قال وجدناه بحـراً أو إنه لبحر وكان فرساً يُبَطَّأُ. أخرجاه في الصحيحين.

وعن أبي إسحاق، قال: سـألت الـبراء، وسـأله رجـل فقال: فررتم عن رسول الله يوم حـنين؟ فقـال الـبراء: ولكـن رسول الله لم يفر، كانت هوازن ناساً رماة وإنا لَمَّا حملنا علـيهم انكشفوا فأكببنا على الغنائم فاستقبلونا بالسهام، ولقد رأيـت رسول الله على بغلته البيضاء وإن أبا سفيان بن الحارث آخذ بلجامها وهو يقول:

أنـــا الـــنبي لا كـــذب أنـــا ابـــن عبـــد المطلـــب

أخرجاه في الصحيحين.

ذكر فضله على الأنبياء وعلو قدره عليه الصلاة والسلام

عن جابر بن عبد الله أن رسول الله (ﷺ) قال: أُعطيت خمساً لم يُعطهنّ أحد قبلي، نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعلتْ لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيُّما رجلٍ من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة. أخرجاه في الصحيحين.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) قال: بُعثت بجوامع الكلم ونُصرت بالرعب، وبينا أنا نائم رأيتني أُتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي، قال أبو هريرة رضي الله عنه: فلقد ذهب رسول الله (ﷺ) وأنتم تنتثلونها، أخرجاه في الصحيحين.

وعن أبي بن كعب، قال: كنت في المسجد فدخل رجل فصلّى فقرأ قراءة أنكرتها عليه. ثم دخل آخر فقرأ قراءة

سوى قراءة صاحبه. فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعاً على رسول الله(ﷺ)، فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه، فأمرهما رسول الله (ﷺ) فَقَرَءاَ فحسّن النبي(ﷺ) شأنهما، فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية فلما رأى رسول الله (ﷺ) ما قد غشيني ضرب في صدري ففضتُ عرقاً وكأنما أنظر إلى الله عز وجل فرقاً، فقال لي: يا أُبيُّ أرسل إلي أن أقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن هوّن على أمتي، فرد إلي الثانية اقرأهُ على حرفين فرددت إليه أن هون على أمتي فرّد إلي الثالثة اقرأه على سبعة أحرف فلك بكل ردة رددتها مسألة تسألينها، فقلت: اللهم اغفر لأمتي، اللهم اغفر لأمتي، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلي الخلق كلُّهم حتى إبراهيم (ﷺ) انفرد بأخراجه مسلم.

وعن أنس قال: قال رسول الله (ﷺ): آتي باب الجنة

يوم القيامة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت، أن لا أفتح لأحد قبلك- انفرد بإخراجه مسلم-.

وعن أنس أن النبي (ﷺ) قال: أنا أول الناس خروجاً إذا بُعثوا، وأنا خطيبهم إذا وفدوا، وأنا مبشرهم إذا يئسوا، لواء الحمد بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر. (رواه الترمذي).

قال ابن الأنباري: المعنى لا أتبجّح بهذه الأوصاف وإنما أقولها شكراً لربي ومنبّهاً أمتي على إنعامه علي. وقال ابن عقيل: إنما نفى الفخر الذي هو الكبر الواقع في النفس المنهيّ عنه، الذي قيل فيه ﴿لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (سورة لقمان آية: ١٨) ولم ينف فخر التجمل بما ذكره من النعم التي

بمثلها يفتخر: ومثله قوله ﴿لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ (سورة القصص- آية:٧٦) يعني الأشِرين، ولم يُرد الفرح بنعمة الله تعالى.

قال الخطابي: ما زلت أسـأل عـن معنـى قولـه ((لـواء الحمد بيدي)) حتى وجدته في حديث يُـروى عـن عقبـة بـن عامر أن أول من يدخل الجنة الحمادون الله علـى كـل حـال، يُعقَد لهم لواء فيدخلون الجنة.

وقد روى مسلم في أفراده من حديث أنـس بـن مالـك أن النبي (ﷺ) قال: أنا أوّل الناس يشفع يوم القيامة، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة.

وفي أفراده من حديث أبي هريـرة عـن الـنبي (ﷺ) أنـه قال: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشقّ عنـه القـبر وأول شافع ومشفع.

وعن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب أتى النبي(ﷺ) بكتابٍ أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبي(ﷺ)، قال: فغضب وقال: ((أَمُتَهوِّكون فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقيةً، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحقّ فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به والذي نفسي بيده لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني (رواه الإمام أحمد).

ذكر مثله ومثل الأنبياء من قبله (ﷺ)

عن أبي هريرة، قال: قال أبو القاسم: ((مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل ابتنى بيوتاً فأحسنها وأجملها وأكملها إلا موضع لبنة من زاوية من زواياها، فجعل الناس يطوفون ويُعجبهم البنيان فيقولون: لو وُضعت ههنا لبنة فيتم

بنيانك- فقال محمد (ﷺ): - فكنت أنا اللبنة)) أخرجاه في الصحيحين.

ذكر مثله ومثل ما بعثه الله به (ﷺ)

عن أبي موسى عن النبي (ﷺ) قال((إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومه فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العُريان، فالنجاء، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلتهم، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكم واجتاحهم، فذلك مَثل من أطاعني واتبع ما جئت به، وَمثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق))- أخرجاه في الصحيحين-.

ذكر مشي الملائكة من ورائه (ﷺ)

عن جابر، قال: كان أصحاب النبي (ﷺ) يمشون أمامه إذا خرج ويدعون ظهره للملائكة (**رواه الإمام أحمد**).

ذكر وجوب تقديم محبته على النفس والولد والوالد

عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله (ﷺ): ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من نفسه ووالده وولده والناس أجمعين)) (**أخرجاه في الصحيحين**).

وعن عبد الله بن هشام قال: كنا مع النبي (ﷺ) وهو آخذ بيد عمرَ بن الخطاب فقال له عمر: يا رسول الله لأنت أحبّ إلي من كل شيء إلا نفسي: فقال لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحبَّ إليك من نفسك. فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحبُّ إليّ من نفسي فقال النبي (ﷺ): الآن يا عمر: رواه البخاري منفرداً.

ذكر تعظيم الصحابة للنبي (ﷺ) وحبهم إياه

عن أنس، قال: رأيت النبي (ﷺ) والحلاق يحلقه وقد

أطاف به أصحابه، فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل: انفرد بإخراجه مسلم.

وعنه قال، لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي (ﷺ) وأبو طلحة بين يدي النبي (ﷺ) مُجُوِّبٌ عليه بحَجفَة له، وكان أبو طلحة رجلاً رامياً شديد النزْع، كسر يومئذ قوسين أو ثلاثاً، قال: وكان الرجل يمر، معه الجعبة من النبل، فيقول: انثرها لأبي طلحة. قال ويشرف النبي ينظر إلى القوم فيقول أبو طلحة: بأبي أنت وأمي، لا تُشْرف يُصِبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك. (رواه البخاري).

وفي الصحيحين من حديث أبي جُحَيفة قال: أتيت النبي فخرج بلال بوضوئه، فرأيت الناس يبتدرون ذلك الوضوء فمن أصاب منه شيئاً تمسح به ومن لم يصب منه أخذ من بلل يد صاحبه وخرج النبي، وقام الناس فجعلوا يأخذون

يده ويمسحون بها وجوههم، فأخذت يده فوضعتها على وجهي فإذا هي أبرد من الثلج وأطيب من ريح المسك.

وعن أنس، قال: لما كان يوم أحد حاص الناس حَيْصة وقالوا: قتل محمد، حتى كثرت الصوارخ في نواحي المدينة. قال: فخرَجت امرأة من الأنصار فاستقبلت بأخيها وأبيها وزوجها وابنها، لا أدري بأيِّهم استقبلت أولاً، فلما مرَّت على آخرهم قالت: من هذا؟ قالوا: هذا أخوك وأبوك وزوجك وابنك. قالت: فما فعل النبي (ﷺ)؟ فيقولون: أمامك، حتى ذهبت إلى رسول الله (ﷺ) فأخذت بناحية ثوبه ثم جعلت تقول: بأبي أنت وأمي يا رسول الله لا أبالي إذا سلمتَ من عطب.

ذكر عبادة رسول الله ﷺ واجتهاده

عن علقمة، قال: سألت عائشة: أكان رسول الله يخص

شيئاً من الأيام؟ قالت: لا، كان عمله ديمةً وأيكم يطيق ما كان رسول الله (ﷺ) يطيق؟ أخرجاه في الصحيحين.

وعن كُريب أن ابن عباس أخبره أنه بات عند خالته ميمونة زوج النبي(ﷺ)، قال: فاضطجعت في عرض الوسادة، واضطجع رسول الله (ﷺ) وأهله في طولها فنام رسول الله (ﷺ) حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل، استيقظ رسول الله فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده ثم قرأ العشْر الآيات الخواتم من سورة آل عمران ثم قام إلى شَنّ معلقة فتوضأ منها فأحسن وضُوءه ثم قام يصلي.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: فقمت فصنعت مثل ما صنع ثم ذهبت فقمت إلى جنبه فوضع رسول الله (ﷺ) يده اليمنى على رأسي وأخذ بأذني اليمنى يفتلها فصلى ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين،

ثم أوتر، ثم اضطجع حتى جاءه المؤذن فقام فصلى ركعتين خفيفتين، ثم خرج فصلى الصبح. أخرجاه في الصحيحين.

وعن عبد الله بن شَقيق، قال: سألت عائشة رضي الله عنها عن صلاة رسول الله من التطوع. فقالت: كان يصلى قبل الظهر أربعاً في بيتي، ثم يخرج فيصلي بالناس، ثم يرجع إلى بيتي فيصلي ركعتين وكان يصلي بالناس المغرب ثم يرجع إلى بيتي فيصلي ركعتين، وكان يصلي بهم العشاء ثم يدخل بيتي فيصلي ركعتين وكان يصلي من الليل تسع ركعات فيهن الوتر، وكان يصلي ليلاً طويلاً قائماً، وليلاً طويلاً جالساً، فإذا قرأ وهو قائم ركع وسجد وهو قائم وإذا قرأ وهو قاعد ركع وسجد وهو قاعد، وكان إذا طلع الفجر صلى ركعتين ثم يخرج فيصلي بالناس صلاة الفجر. (انفرد بإخراجه مسلم).

وقد اختلفت الرواية في عدد الركعات اللواتي كان رسول الله (ﷺ) يصليهن بالليل، فقال الترمذي: أقل ما روي عنه تسع ركعات وأكثره ثلاث عشرة مع الوتر، وقد روي عنه إحدى عشرة ركعة.

قلت: وقد روى البخاري من حديث مسروق قال: سألتُ عائشة رضي الله عنها عن صلاة رسول الله (ﷺ) بالليل، فقالت: سبع وتسع وإحدى عشرة، سوى ركعتي الفجر. وهذا غير ما قال الترمذي.

وعن حُميد، قال: سئل أنس بن مالك رضي الله عنه عن صلاة رسول الله من الليل، فقال: ما كنا نشاء من الليل أن نراه مصلياً إلا رأيناه، وما كنا نشاء أن نراه نائماً إلاّ رأيناه وكان يصوم من الشهر حتى نقول لا يفطر شيئاً. **(اخرجاه في الصحيحين)**.

وعن عبد الله، قال: صَلّيت مع النبي (ﷺ) ذات ليلة فلم يزل قائماً حتى هممت بأمر سوءٍ. قلنا: ما هممت؟ قال: هممت أن أجلس وأدعه. (أخرجاه في الصحيحين).

وعن حذيفة، قال: صليّت مع النبي (ﷺ) ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت: يركع عند المائة. قال: ثُمّ مضى فقلت: يصلي بها في ركعة فمضى، فقلت: يركع بها ثم افتتح ((النساء)) فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً إذا مرّ بآية فيها تسبيح سبّح، وإذا مرّ بسؤال سأل، وإذا مر بتعوّذ تعوَّذ، ثم ركع فجعل يقول: سبحان ربي العظيم، فكان ركوعه نحواً من قيامه، ثم قال: سمع الله لمن حمده، ثم قام طويلاً قريباً مما ركع، ثم سجد فقال: سبحان ربي الأعلى، فكان سجوده قريباً من قيامه. (انفرد بإخراجه مسلم).

وسورة النساء في هذا الحديث مقدمة على آل عمران وكذلك هي في مصحف ابن مسعود.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله (ﷺ) إذا صلى قام حتى تتفطّر رجلاه. قالت عائشة: يا رسول الله أتصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: يا عائشة، أفلا أكون عبداً شكوراً؟ (أخرجاه في الصحيحين).

ذكر عيشه وفقره (ﷺ)

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله (ﷺ): اللهم اجعل رزق آل محمد قُوتاً. (أخرجاه في الصحيحين).

وعن أبي حازم، قال: رأيت أبا هريرة يشير بإصبعه مراراً: والذي نفس أبي هريرة بيده ما شبع رسول الله (ﷺ)

وأهله ثلاثة أيام تباعاً من خبز حنطة حتى فارق الدنيا. (أخرجاه في الصحيحين).

وعن عائشة قالت: كان ضجاع النبي (ﷺ) ينام عليه الليل من أَدَم محشوّاً ليفاً. (أخرجاه في الصحيحين).

وعن سماك بن حرب قال: سمعت النعمان بن بشير يخطب، قال: ذكر عمر ما أصاب الناس من الدنيا فقال: رأيت رسول الله ظل اليوم يلتوي ما يجد دَقَلاً يملأ بطنه. (انفرد بإخراجه مسلم).

وعن قَتادةَ قال: كنا نأتي أنساً وخُبّازه قائم، قال: فقال يوماً: كلوا فما أعلم رسول الله (ﷺ) رأى رغيفاً مرقّقاً ولا شاة سميطاً قط. (انفرد بإخراجه البخاري).

وعن أبي هريرة أنه مرَّ بقوم وبين أيديهم شاة مصلية،

فدعوه فأبى أن يأكل وقال: خرج رسول الله (ﷺ) من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير. رواه البخاري.

وروي عن عائشة قالت: ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام البُرّ ثلاث ليال تباعاً حتى قُبض.

وعن أبي حازم قال: سألت سهل بن سعد فقلت له: هل أكل رسول الله (ﷺ) النقيّ؟ قال سهل: ما رأى رسول الله النَّقِيَّ من حين ابتعثه الله حتى قبضه الله. قال: فقلت: كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول؟ قال: كنا نطحنه وننفخه فيطير ما طار، فما بقي ثريناه فأكلناه.

وعن ابن عباس، قال: كان رسول الله (ﷺ) يبيت الليالي المتتابعة طاوياً وأهله لا يجدون عشاء وكان أكثر خبزهم خبز الشعير. رواه الترمذي.

وعن جابر قال: لما حفر النبي (ﷺ) وأصحابه الخندق أصابهم جهد شديد حتى ربط النبي (ﷺ) على بطنه حجراً من الجوع. رواه الإمام أحمد.

وعن عروة أنه سمع عائشة رضي الله عنها تقول كان يمر بنا هلال وهلال ما تُوقد في بيت من بيوت رسول الله(ﷺ) نار قال: قلت: ياخالة فعلى أي شيء كنتم تعيشون؟ قالت: على الأسودين التّمرِ والماء. رواه الإمام أحمد.

وعن ابن عباس قال: قبض النبي (ﷺ) وإن درعه لمرهونة عند رجل من يهود على ثلاثين صاعاً من شعير أخذها رزقاً لعياله. رواه الإمام أحمد.

وعن عائشة، قالت: ما رَفع رسول الله (ﷺ) قطّ غداء لعشاء ولا عشاء قطّ لغداء ولا اتخذ من شيء زوجين، لا

قميصين، ولا رداءين، ولا إزارين، ولا من النعال، ولا رئي قطّ فارغاً في بيته إما يخصف نعلاً لرجل مسكين أو يخيط ثوباً لأرملة.

وعن أنس بن مالك أن فاطمة عليها السلام جاءت بكسرة خبز إلى النبي (ﷺ) فقال: ما هذه الكسرة يا فاطمة؟ قالت: قرص خبزتُه فلم تَطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكسرة. فقال: أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام.

عدد غزواته وسراياه (ﷺ)

غزا رسول الله (ﷺ) سبعاً وعشرين غزاة، وقاتل منها في تسع: بدرٍ وأحد، والمُرَيْسِيع والخندق وقريظة، وخيبر، والفتح، وحنين، والطائف، وقيل إنه قاتل في بني النضير، وفي غزاة وادي القرى مُنصرفَهَ من خيبر، وقاتل في الغابة.

ذكر فصاحته (ﷺ)

كان رسول الله (ﷺ) أفصح العرب، وكان يقول: إن الله عز وجل أدّبني فأحسن أدبي، ونشأت في بني سعد. وقال: بعثت بجوامع الكلم.

وقد روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال له: يا رسول الله ما بالك أفصحَنا؟ قال: لأن كلام إسماعيل عليه السلام كان درس فأتى به جبريل عليه السلام فعلمنيه.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ما سمعت كلمة عربية من العرب إلا وقد سمعتها من رسول الله (ﷺ)، وسمعته يقول: ((مات حتْف أنفه)) وما سمعتها من عربي قبله. ومعنى هذا أن الميت على فراشه يتنفس حتى ينقضي رمقه.

ومن كلامه المتقن وأمثاله العجيبة (ﷺ)

قوله: ((إيّاكم وخَضْرَاءَ الدِمَن))، قيل له: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: ((المرأة الحسناء في المنبت السُّوء)).

وقوله: ((إن مما يُنبت الربيعُ لَما يقتل حَبَطاً أو يُلِمُّ)). والمعنى: أن الماشية يروقها نبت الربيع فتأكل فوق حاجتها فتهلك. والحبط: أن تَرِمَ بطونها وتنتفخ، فزجر بهذا الكلام عن فضول الدنيا.

وقوله: ((لا يَنتطح فيها عنزان))،

و((لا يَلدغ المؤمن من جُحرٍ مرتين)).

وقوله: ((هدنة على دخن، وصلح على أقذاء)).

وقوله: ((الآن حميَ الوطيس)).

وقوله: ((الناس كأسنان المشط)).

و((المرء كثير بأخيه)).

و((لا خير في صحبة مَن لا يرى لك من الحق مثل ما يرى لنفسه)).

وقوله في الخيل ((بطونُها كنز وظهورها حِرْز)).

و((خير المال مُهرة مأمورة أو سكّة مأبورة)).

وقوله للأنصار: ((إنكم لَتقَلُّون عند الطمع وتكثرون عند الفزع)).

وقوله: ((خير المال عين ساهرة لعين نائمة)).

و((من بَطَّأ به عَمله لم يُسرع به نسبه)).

وقوله ((حبُّك للشيء يُعمي ويُصِمّ، وكلّ الصَّيد في جوْف الفرا)).

((جبلت القلوب على حبّ من أحسن إليها)).

و((البلاء موكَّل بالمنطق)).

((الناس معادن كمعادن الذهب والفضة)).

((ما نحل والد ولداً أفضل من أدب حسن)).

((زر غبّاً تزدَد حباً)).

((الصَّمت حُكم وقليلٌ فاعله)).

((الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر)).

((إنما الأعمال بالنيات)).

((نية المؤمن أبلغ من عمله)).

((إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسَعوهم بأخلاقكم)).

((الخلق السيئ يفسد العمل كما يفسد الخل العسل)).

((المتشبّع بما لم يُعط كلابس ثوبيْ زور)).

((ليس الخبرُ كالمعاينة)).

((لا حليم إلا ذو أناة، ولا حكيم إلا ذو تجربة)).

((الحرب خدعة)).

((يا خيلَ الله اركبي)).

((إن هذا الدّين مَتين فأوْغل فيه برفق)).

((إن المنبْتَّ لا أرضاً قطعَ ولا ظهراً أبقى)).

(من يشادَّ هذا الدّين يغلبه)).

((المؤمن مرآة المؤمن)).

((الكيّس من دان نفسه وعمل لِما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني)).

((ما قل وكفى خير مما كثر وألهى)).

((من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يَعنيه)).

((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلْيقل خيراً أو ليصمت)).

((تُنكح المرأة لِمالها ولجمالها ودِينها وحسبها، فعليك بذات الدين تَرِبت يداك)).

((الشتاء ربيع المؤمن، قَصُر نهاره فصامه وطال ليْلُه فقامه)).

((ليس الشديد الذي يغلب الناس ولكن الشديد الذي يغلب نفسه)).

((من ضَمِن لي ما بين لَحْيَيْه ورجليه ضمنتُ له الجنة)).

((اليد العليا خير من اليد السفلى)).

((خـير الصـدقة مـا كـان عـن ظهـر غنـىً وابـدأ بمـن تعول)).

((أفضل الصدقة جهدٌ من مُقِل)).

((كلمة الحكمة ضالة كل حكيم)).

((القناعة مال لا ينفد)).

((استغنوا عن الناس ولو بشوص السواك)).

((الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة، والتودد إلى الناس نصف العقل، وحسن السؤال نصف العلم)).

((المؤمن من أمِنه الناس، والمسلم من سـلم المسـلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه)).

((شرّ ما في الرجل شُحّ هالع وجبن خالع)).

((أدّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخُن من خانك)).

((لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له)).

((حُسن العهد من الإيمان)).

((جمال الرجل فصاحة لسانه)).

((منهومان لا يشبعان: طالبُ علم وطالب دنيا)).

((لا فقر أشدُّ من الجهل، ولا مال أعْوَد من العقل، ولا وحشة أشدّ من العجب)).

((الذنب لا يُنسى، والبرّ لا يبلى، والدّيان لا يموت، فكن كما شئت)).

((كما تدين تدان)).

((الظلم ظلمات يوم القيامة)).

((ما جُمع شيء إلى شيء أحسن من حِلْم إلى علم)).

((التمسوا الرزق في خبايا الأرض)).

((كن في الـدنيا كأنـك غريـب أو كعـابر سـبيل وعُـدَّ نفسك من أهل القبور)).

((العفو لا يزيد العبد إلا عزاً، والتواضع لا يزيـده إلا رفعة)).

((ما نقص مال من صدقة)).

((صنائع المعروف تقي مصارع السوء)).

((صلة الرحم تزيد في العمر)).

((اللهم إني أسألك واقيةً كواقية الوليد)).

((اللهم إني أعوذ بك من شرّ فتنة الغنى وشر فتنة الفقر)).

((الدنيا عرض حاضر يأكل منه البَرّ والفاجر، والآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن كلّ أم يتبعها ولدها)).

((أخسر الناس صفقةً من أذهب آخرته بدنيا غيره)).

((المجالس بالأمانة)).

((إياكم والطّمع فإنه فقر حاضر)).

((استعينوا على نجاح الحوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود)).

((إنَّ من كنوز البرّ كتمان المصائب)).

((الدّالّ على الخير كفاعله)).

((نعمتـان مغبـونٌ فيهمـا كـثير مـن النـاس: الصـحّة والفراغ)).

((الناس كإبلٍ مئة لا تجد فيها راحلة)).

((ليس شيء أفضل من ألف مثله إلا الإنسان)).

((اليمين حِنْث أو ندم)).

((لا تُظهر الشماتة لأخيك، فيعافيه الله ويبتليك)).

((اليوم الرّهانُ وغداً السّباق، والغايـة الجنـة، والهالـك من دخل النار)).

قلـت: ولـو ذهبنـا نـذكر مـن كـلام رسـول الله (ﷺ) العجيب الوجيز البليغ لطال، إذ كلُّ كلامـه يتضـمن حِكَمـاً،

وكذلك لو ذهبنا نستقصي آدابه وأخلاقه وأحواله لجاءت مجلدات، وإنما اقتطفنا من كل فن قطفاً، وأشرنا إلى جملةٍ برمزٍ لأن مثل كتابنا هذا لا يتّسع للبسط.

ذكر وفاته (ﷺ)

ابتدأ برسول الله (ﷺ) صداع في بيت عائشة، قالت: دخل عليَّ رسول الله(ﷺ) في اليوم الذي بدئ فيه، فقلت: ورأساه. فقال: بل أنا وارأساه ثم اشتد أمره في بيت ميمونة، واستأذن نساءه، أن يمرَّض في بيت عائشة فأذنَّ له، وكانت مدة علته اثني عشر يوماً، وقيل: أربعة عشر.

عن عبيد الله بن عبد الله، قال: دخلتُ على عائشة فقلت لها: ألا تحدثيني عن مرض رسول الله(ﷺ)؟ قالت: بلى، ثقُل النبي(ﷺ)، فقال: أصلّى الناس؟ قلنا: لا وهم

ينتظرونك يا رسول الله قال: ضعوا لي ماء في المخضب ففعلنا، فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمي عليه، ثم أفاق فقال: أصلّى الناس؟ قلنا لا وهم ينتظرونك يا رسول الله، فقال ضعوا لي ماءً في المخضب ففعلنا، فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمي عليه ثم أفاق فقال أصلى الناس قلنا لا وهم ينتظرونك يا رسول الله، فقال ضعوا لي ماءً في المخضب ففعلنا فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمي عليه ثم أفاق فقال أصلى الناس فقلنا لا وهم ينتظرونك يا رسول الله قالت: والناس عكوف في المسجد ينتظرون رسول الله (ﷺ) لصلاة العشاء الآخرة قالت: فأرسل رسول الله (ﷺ) إلى أبي بكر أن يصلي بالناس، فأتاه الرسول فقال: إن رسول الله (ﷺ) يأمرك أن تصلي بالناس فقال أبو بكر، وكان أبو بكر رجلاً رقيقاً،

فقال: يا عمر صلِّ بالناس قال: فقال: أنت أحق بذلك قالت فصلّى بهم أبو بكر تلك الأيام.

ثم إن رسول الله(ﷺ) وجد من نفسه خفّة فخرج بين رجلين، أحدهما العباس، لصلاة الظهر وأبو بكر يصلي بالناس فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر فأومأ إليه النبي (ﷺ) أن لا يتأخر. وقال لهما أجلساني إلى جنبه فأجلساه إلى جنب أبي بكر وكان أبو بكر يصلي وهو قائم.

فدخلتُ على - قال عبيد الله-: عبد الله ابن عباس فقلت: له: ألا أعرِض عليك ما حدثتني عائشة عن مرض رسول الله (ﷺ)؟ فقال: هات فعرضت حديثها فما أنكر منه شيئاً، غير أنه قال: أسمَّت لك الرجل الذي كان مع العباس؟ قلت: لا. قال: هو علي- (أخرجاه في

الصحيحين)-.

قال ابن حبيب الهاشمي: صلى أبو بكر بالناس في مرض رسول الله (ﷺ) سبع عشرة صلاة، ويقال: ثلاثة أيام.

وعن أنس بن مالك الأنصاري: أن أبا بكر كان يصلي بهم في وجع رسول الله (ﷺ) الذي توفي فيه، حتى إذا كان يوم الاثنين وهم صفوف في الصلاة كشف رسول الله (ﷺ) ستر الحجرة فنظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف، ثم تبسم رسول الله ضاحكاً فبهتنا ونحن في الصلاة من فرح بخروج رسول الله (ﷺ) ونكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف وظن أن رسول الله (ﷺ) خارج للصلاة، فأشار إليهم رسول الله (ﷺ) بيده أن أتمّوا صلاتكم قال: ثم دخل رسول الله (ﷺ) فأرخى الستر قال: فتوفي رسول الله من يومه ذلك.

(أخرجاه في الصحيحين).

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان رسول الله(ﷺ) يعوذ بهؤلاء الكلمات: ((أذهب البأس رب الناس، اشفِ وأنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقماً)). قالت: فلما ثقل رسول الله (ﷺ) في مرضه الذي مات فيه أخذت بيده فجعلت أمسح بها وأقولها. قالت: فنزع يده مني وقال: ((رب اغفر لي وألحقني بالرفيق الأعلى)) قالت: فكان هذا آخر ما سمعت من كلامه (ﷺ)- (أخرجاه في الصحيحين).

وعنهما قالت: مات رسول الله في بيتي، ويومي وبين سَحري ونحري، فدخل عبد الرحمن بن أبي بكر ومعه سواك رَطْب فنظر إليه فظننت أن له فيه حاجة. قالت: فأخذته فمضغته ونفضته وطيّبته، ثم دفعته إلي فاستنَّ كأحسن ما

رأيته مسْتَنَاً قطُّ ثم ذهب يرفعه إلي فسـقط في يـده، فجعلـت أدعو الله عز وجـل بـدعاء كـان يـدعو لـه بـه جبريـل عليـه السلام، وكان هو يدعو به إذا مرض فلم يـدْعُ بـه في مرضـه ذاك، فرفع بصره إلى السماء وقال: ((الرفيق الأعلى، الرفيـق الأعلى)) يعني وفاضت نفسه، فالحمد لله الذي جمع بين ريقي وريقه في آخر يوم من أيام الدنيا (رواه الإمام أحمد).

وعنها، رضي الله عنها، كانت تقول: ((إن من نِعـم الله علي أن رسول الله(ﷺ) توفي في بيتي وفي يومي وبـين سَـحْري ونحري، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته، دخـل علـي عبد الرحمن وبيده سواك وأنا مسـندة رسـول الله(ﷺ)، فرأيتـه ينظر إليه فعرفت أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك؟ فأشـار برأسه أن نعم، فناولته فاشتدَّ عليه فقلت: ألَيّنـة لـك؟ فأشـار برأسه أن نعم، فليَّنته فأخذه فأمرَّه وبين يديه ركوة أو علبـة-

يشك أبو عمرو- فيها ماء، فجعل يدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه ويقول: لا إله إلا الله، إن للموت لَسكراتٍ ثم نصب يده فجعل يقول: في الرفيق الأعلى، حتى قبض ومالت يده.)). انفرد بإخراجه البخاري والسحْر الرئة وما يتعلق بها.

عن أبي بُردة قال: أخرجت إلينا عائشة رضي الله عنها كساء ملبَّداً وإزاراً غليظاً، فقالت: قُبض رسول الله (ﷺ) في هذين- أخرجاه في الصحيحين-.

وعنها رضي الله عنها قالت: ما ترك رسول الله (ﷺ) ديناراً ولا درهماً ولا شاة ولا بعيراً ولا أوصى بشيء- انفرد بإخراجه مسلم.

عن أبي هريرة أن جبريل أتى النبي (ﷺ) في مرضه الذي قبض فيه فقال: ((إن الله عز وجل يقرئك السلام ويقول: كيف تجدك؟ قال: أجدني وجعاً يا أمين الله)) ثم

جاءه من الغد فقال: يا محمد إن الله عز وجل يقرئك السلام ويقول: كيف تجدك قال: ((أجدُني يا أمين الله وجعاً. ثم جاءه في اليوم الثالث ومعه ملك الموت فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول كيف تجدك؟ قال: ((أجدني يا أمين الله وجعاً، مَن هذا معك))؟ قال: هذا ملك الموت عليه السلام، وهذا آخر عهدي بالدنيا بعدك وآخر عهدك بها، ولن آسى على هالك من ولد آدم بعدك، ولن أهبط إلى الأرض إلى أحد بعدك أبداً. فوجد النبي (ﷺ) سكْرة الموت وعنده قدح فيه ماء، فكلما وجد سكْرةً أخذ من ذلك الماء، فمسح به وجهه ويقول: ((اللهمَّ أعنّي على سكرة الموت)).

وعن جعفر بن محمد، عن أبيه، قال: قُبض رسول الله(ﷺ) يوم الاثنين فمكث ذلك اليومَ وليلة الثلاثاء، ودفن من الليل.

ذكر إعلام أبي بكر الناس بموت رسول الله(ﷺ)

عن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر أقبل علـى فـرس من مسكنه بالسنح حتى نزل، فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فتيمَّم رسـول الله(ﷺ) مُغَشّـى بثـوب حَبِرة، فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله وبكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله لا يجمع الله عليـك مـوتتين أمـا الموتة التي كتُبت عليك فقد مِتّها.

قال ابن شهاب وحدثني أبـو سـلمة عـن عبـد الله بـن عباس، أن أبا بكر خرج وعمر بن الخطاب رضـي الله عنهمـا يكلّم الناس، فقال: اجلس يا عمـر، فـأبى أن يجلـس، فأقبـل الناس إليه وتركوا عمر، فقال أبو بكر: أما بعد فإن مـن كـان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كـان يعبـد الله فـإن الله تعالى حي لا يموت، قـال الله تعـالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ

﴿خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلشَّٰكِرِينَ﴾، قال: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها منه الناس كلهم فما أسمع كثيراً من الناس إلاَّ يتلوها، فأخبرني سعيد بن المسيب أن عمر قال: والله ما هو إلاَّ أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى ما تُقلُّني رجلاي وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها. انفرد بإخراجه البخاري.

ندب فاطمة عليها السلام، عليه(ﷺ)

عن أنس رضي الله عنه قال: لما ثقُل رسول الله(ﷺ) جعل يتغشّاه الكرب، فقالت فاطمة رضي الله عنها: واكرب أبتاه! فقال لها: ليس على أبيك كرب بعد اليوم، فلما مات قالت:

يا أبتاه أجاب رباً دعاه،

يا أبتاه جنة الفردوس مأواه،

يا أبتاه إلى جبريل أنعاه،

فلما دفن قالت فاطمة: يا أنس، أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله(ﷺ) التراب. انفرد بإخراجه البخاري.

ذكر مبلغ سنه(ﷺ)

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: أنزل على رسول الله(ﷺ) وهو ابن أربعين، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة وبالمدينة عشراً، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين. أخرجاه في الصحيحين.

وقد ذكرنا في حديث ربيعة عن أنس أنه توفي على رأس ستين. قال أبو بكر الخطيب من قال ستين قصد أعشار

السنين ومن قال ثلاث وستين قصد جميع السنين، والإنسان يقول سني أربعون ولعله قد زاد عليها إلاَّ أن الزيادة لم تبلغ عشراً، وقد روى عمار مولى بني هاشم عن ابن عباس أن النبي(ﷺ) توفي وهو ابن خمس وستين وهذا وهم والصحيح الأول.

ذكر غسل رسول اللهﷺ

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما أجمع القوم لغسل رسول الله(ﷺ) وليس في البيت إلاَّ أهله: عمه العباس وعلي بن أبي طالب والفضل بن عباس وقُثم بن العباس وأسامة بن زيد وصالح مولاه، فلما أجمعوا على غسله نادى من وراء الباب أوس بن خولى الأنصاري، وكان بدرياً علي بن أبي طالب فقال: يا علي نشدتك الله حظَّنا من رسول الله(ﷺ)

فقال له علي عليه السلام: ادخل فدخل، فحضر غسل رسول الله(ﷺ) ولم يل من غسله شيئاً قال: فأسنده علي إلى صدره وعليه قميصه وكان العباس والفضل وقثم يُقلّبونه مع علي، وكان أسامة وصالح يُصبّان الماء، وجعل علي يَغْسله ولم يُرَ من رسول الله(ﷺ) شيء مما يراه من الميت وهو يقول: بأبي وأمي ما أطيبك حياً وميتاً، حتى إذا فرغوا من غسل رسول الله(ﷺ) وكان يغسل بالماء والسدر جفّفوه ثم صُنع به ما يصنع بالميت ثم أدرج في ثلاثة أثواب: ثوبين أبيضين وثوب بُرد حبرة قال: ثم دعا العباس رجلين فقال: ليذهب أحدكما إلى أبي عبيدة بن الجراح، وكان أبو عبيدة يَضْرَحُ لأهل مكة، وليذهب الآخر إلى أبي طلحة بن سهل الأنصاري وكان أبو طلحة يَلْحَد لأهل المدينة، قال: ثم قال العباس حين سرَّحهما: اللهم خِرْ لرسولك قال: فذهبا فلم

يجد صاحب أبي عبيدة ووجد صاحب أبي طلحة أبا طلحة فَلَحد رسول الله (رواه الإمام أحمد).

وروى جعفر بن محمد قال: كان الماء يَسْتَنقِعُ في جفون النبي(ﷺ) فكان علي يحسوه.

ذكر موضع قبره (ﷺ)

عن ابن جريج قال: أخبرني أبي أن أصحاب محمد(ﷺ) لم يدروا أين يُقْبر النبي(ﷺ) حتى قال أبو بكر رضي الله عنه سمعت رسول الله(ﷺ) لم يُقبر نبي إلاَّ حيث يموت فأخَّروا فراشه وحفروا له تحت فراشه.

ذكر الصلاة عليه (ﷺ)

لما غُسِل وكُفِّن(ﷺ) صلى الناس عليه أفذاذاً لا يؤمهم أحد، فأما فضل الصلاة عليه باللسان فصحَّ عن أبي هريرة

قال: قال رسول الله: من صلّى علي واحدة صلّى عليه بها عشراً. انفرد بإخراجه مسلم.

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله(ﷺ): من صلّى علي واحدة صلّى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات (رواه الإمام أحمد).

وعن عبد الله بن مسعود أن رسول الله قال: إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة (رواه الترمذي).

ذكر بلوغ سلام أمته إليه وردّ السلام على من يسلم عليه (ﷺ)

عن عبد الله قال رسول الله: إن لله عزّ وجل في الأرض ملائكة سياحين يُبلّغوني من أمتي السلام (رواه الإمام أحمد).

وروي أيضاً عن أبي هريرة عن النبي(ﷺ) أنه قال: ما من أحد يسلّم علي إلاّ رَدّ الله إليّ روحي حتى أردّ عليه السلام.

